مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 92 عدد:
April 2015 نيسان

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب ٦١٩ كانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619, Cana of Galilee 16930; website:www.lightchrist.org

# المسيح قام من الأموات

## ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور

ايها المسيح. لقد نزلتَ إلى اسافل دركات الارض.
فسحقتَ الاقفال الدهرية المثبَّتة الضابطة المعتقلين.
وفي اليوم الثالث قمتَ ناهضاً من القبر. كما بَرَزَ يونان من الحوت

# الفصح المجيد

## المسيح قام، حقّاً قام

### القديس بوليكاربوس تلميذ القديس يوحنا الحبيب:

كل من لا يعترف أنَّ يسوع المسيح جاء في الجسد فهو ضد المسيح وكل من لا يعترف بشهادة الصلب هو من الشيطان وأيّ من يفسد شهادات الرب لشهواته ويقول إنّه لا يوجد لا قيامة ولا دينونة هو الابن الأول للشيطان....

### القديس يوحنا الذهبيّ الفم:

لو أنه قام عقب انصراف الحراس بعد اليوم الثالث كان لهم ما يقولون وما يقاومون به ويعاندون. لذلك بادر وسبق فقام، لأنه كانَ يلزمُ أن يقوم وهم بعدُ يحرسون.

وأيضا قام وكان الحجرُ موضوعًا والأختام عليه، ولكن لكي يتأكد الآخرون تمامًا كان من الضروريّ فتحُ القبر بعد القيامة، وهذا ما قد حدث. هذا ما دفع مريم للتحرك. فإذ كانت مملوءةً حبًّا نحو سيدها، إذ عبر السبت لم تحتمل أن تهدأ فجاءت باكرًا جدًا، مشتاقة أن تجد نوعًا من التعزية في المكان. وإذ رأت الموضع، والحجر مرفوعًا لم تدخل، ولا انحنت، بل رجعت نحو التلاميذ في شوق عظيم، فإن هذا هو ما كانت تبغيه بغيرة. لقد أرادت بسرعة فائقةً أن تعلِّم ماذا حدث للجسد. هذا هو معنى ركضها وكلماتها.

وأيضا دُحرج الحجر بعد القيامة من أجل النساء ليؤمنوا أن الرب قام ناظرين الحق أن القبر بدون جسد .

### القديس غريغوريوس أسقف نيصص:

بينما رأيناه على الصليب وحيدًا، لا نراه هكذا بعدُ، بل يظهر وسط إخوته. في يوم قيامته قدم الرسالة المفرحة: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠:١٧). نسمعه يخاطب تلاميذه كإخوته وذلك في يوم قيامته المجيدة بعدما اجتاز آلامَهُ. فإننا إذ نتقدس بعمله الخلاصيّ (آلام الصليب)، ليس فقط لا يخجل بل يُسَرُّ جدًا أنْ يدعوَهم هكذا «إخوته» (عب٢:١٢).

### القديس كيرللس الكبير:

الملائكة التي قدّمت الأخبار السارّة لرعاة بيت لحم الآن تُخبر بقيامته. السماء بكل خدمتها تخبر عنه، طغمات الأرواح العلويّة تُعلن عن الابن أنه اللّه حتى وهو في الجسد. هذه التي كانت قبلاً خادمة للموت قد تحرّرت الآن من جريمتها بخدمة صوت الملائكة القدّيسين، وبكونها أول كارز بالأخبار الخاصة بسرّ القيامة المبهج.

### العلاّمة اوريجانوس:

عندما يذهب (إلى أبيه) حاملاً الغلبة والنصرات بجسده القائم من الأموات... عندئذ تقول بعض القوات: «من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرَةَ، هذا البهيّ بملابسه؟» (إش٦٣:١). والمرافقون له يقولونً للمقيمين عند أبواب السماء: «ارتفعي أيتها الأبواب الدهريّة ليدخل ملك المجد» (مز٢٣:٧). وإذ يستفسرون بالأكثر، أقول، إذ يَرَوْنَ يمينه بآثار دمه، وكل جسمه وقد امتلأ بالجراحات يقولون: «ما بال لباسكَ محمَرٌّ وثيابُكَ كدائس المعصرة؟» يجيب: «لقد حطمتهم ومزقتهم قطعًا» (إش٦٣:٢-٣).

### القديس كيرللس الأورشليمي:

يقدّم الملاك لهما رسالة للكرازة بالقيامة بين التلاميذ: «اذهبا سريعًا، قولا لتلاميذه أنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه».

### القديس أمبروسيوس:

إن السيد المسيح قام بعد انتهاء يوم السبت مع نسمات بداية الأحد. كأن النسوة وقد حملن الطيب وانطلقن نحو القبر يمثلن كنيسة العهد الجديد التي انطلقت من ظلمة حرف السبت إلى نور حرية الأحد، تتمتع بعريسها شمس البرّ مُشرقًا على النفوس المؤمنة، مُحطمًا الظلمة.

### القديس أثناسيوس الكبير:

إن كان «السبت» يشير إلى الراحة تحت ظل الناموس، يقدم رمزًا للراحة الحقيقية في المسيح يسوع القائم من الأموات، فقد انتظر الرب نهاية السبت ليقوم في بداية اليوم الجديد، معلنًا نهاية الرمز وانطلاق المرموز إليه .

### الأب سفريانوس أسقف جبالة والمعاصر للقديس يوحنا الذهبي الفم:

قام والحجر على الباب ؛ ما هو هذا الحجر إلا حرفية الناموس الذي كُتب على حجارة، هذه الحرفية يجب دحرجتها بنعمة اللّه عن القلب حتى نستطيع أن ننظر الأسرار الإلهية، ونتقبل روح الإنجيل المحيي؟ قلبك مختوم وعيناك مغلقتان، لهذا لا ترى أمامك بهاء القبر المفتوح والمتسع.

**المسيح قام من بين الأموات ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور**

# كلمة صاحب الغبطة
# بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
# كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
# بمناسبة الأحد الجديد ١٩/٤/٢٠١٥

«هلمّوا بنا في يوم القيامة المشهور، نشارك ملكوت المسيح، عصير الكرمة الجديد الذي للفرح الإلهي، مسبحينه بما أنه الإله إلى الأدهار».

**أيها الأخوة الأحباء بالمسيح**
**أيها المسيحيون الحسنيّو العبادة**

إنّ بشائر الفصح تألّقت في قانا الجليل، في ذلك العرس الذي دُعي إليه السيّد المسيح وأمّه العذراء مريم الفائقة القداسة ، في عرس صديقه سمعان القانوي، حيث جرَت أولى آيات وعجائب السيّد المسيح عندما حوّل الماء في الأجاجين إلى خمر، هذا الحدث يَحوي بين طيّاته معانيَ كثيرةً ، وخاصّة لأن الخَمر الطبيعي للكرمة يرمُز إلى الدم الثَمين الذي انسكب من جنب المسيح الطاهر عندما طُعِنَ بحربةٍ وهو على عود الصليب.

هذا الدم (المشروب الجديد) ،هو ينبوع عدم الفساد، كما يقول **القديس يوحنا الدمشقي:** «هلمّوا بنا نشربْ مشروباً جديداً. ليس مستخرجاً بآية باهرة من صخرة صمّاء. لكنهُ ينبوع عدم الفساد. بفَيَضان المسيحِ من القَبر. الذي بهِ نتشدّد».

فعلاً أيها الأخوةُ الأحباءُ (المشروب الجديد) دم مخلصنا يسوع المسيح المصلوب والقائم بذات سلطانه، هو ينبوع عدم الفساد، حسب شهادة الرب: «لأن هذا هو دَمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفَك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٨).

إنّ العشاء الربانيَّ الذي أتمَّـهُ السيّد يسوع المسيح مع تلاميذه الأطهار، في عليّة صهيون، قبل آلامه الطوعيّة، يتمركز حول مأكل جسده الكريم ومشرب دمه الثمين، هذا الطعام الإلهي، هو دواء الخلود، الذي يمنحنا الحياة الأبديّة والاشتراك في الملكوت السماويّ. إنّ القديس زيغاقينوس يعلّق مفسراً لهذا الأمر قـائلاً: « عندما يصرّح الرب أن: هذا هو جسدي، وهذا هو دمي، فكما ألَّـه المسيح الطبيعة البشرية التي التَحَفَ بها عندما أخذها من أحشاء البتولية مريم، تماماً وبنفس القدرة غير المدركة وغير الموصوفة يُحوِّل الخمر والخبز ، إلى جسده الكريم ودمه الثمين، اللذين يعطيان الحياة والخلود».

من خلال القيامة المجيدة، الخلاصيّة والمشعشعة، والصعود الممجّد لمخلصنا يسوع المسيح. تألّهت الطبيعة البشرية بعدما أُعتقَت من قبضة الجحيم، فالسيّد المسيح أتَمَّ عمله الخلاصيَّ وتدبيره الإلهيَّ باستعادة آدمَ الساقط ، فالمسيح بقيامته الظافرة استحقَّ أن يُدعى باكورة الراقدين، التَي هي عربون قيامتنا نحن البشر ، الأمر الذي سيتحقّق عند مجيئه الثاني المخوف في يوم الدينونة الرهيب؛ كما يشهد القديس يوحنا الإنجيلي:« مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياةٌ أبديّة، وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٥٤).

بالإضافة الى ذلك ، فإنّ مشاركتنا في سرّ الإفخارستيا الإلهيّة حسب قول الرب ، هي التذوّق المُسبَق للفرح والنعيم الأبديّ. فنتكىء قرب المسيح في ملكوته السماويّ ، كما أعلنه لنا قائلاً: «إني من الآن لا أشربُ من عصير الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» (مت٢٦: ٢٩).

**أيها الأخوة الأحباء**

إنّ الاسم الحسن الذي به دُعيتم، أي أنّكم مسيحيّون، لا يتعلّق بالجنس ، والقوميّة ، والوطنيّة، لكن يتعلّق بجنس آدم الجديد، المسيح عروس الكنيسة. «وأما أنتم فجنسٌ مختارٌ، وكهنوتٌ ملوكيٌّ ، أمّة مقدّسة. شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب» (١بط٢: ٩).

أما (النور العجيب) هو النور الذي لا يعتريه مساء، هو مجده الذي أظهره في هذا المكان المقدّس في قانا الجليل .

في هذا اليوم الذي هو الأحد الثاني من الفصح، نُعَيِّد لتجديد قيامة المسيح وتفتيش القديس توما الرسول.

هذا التجديد لقيامة المسيح الذي تحقّق من توما عندما منحنا إيماناً بعدم الإيمان، يدعونا لنصنع ثمار توبة لائقة ، ليتسنّى للروح القدس أن يملأ قلوبنا ، ألا وهو سلام اللّه الذي يفوق كل عقل. وكما يقول الحكيم الإلهي بولس: «وليملأكم إله الرّجاء كلّ سرور وسلام، في الإيمان لتزدادوا في الرّجاء بقوّة الروح القدس» (رومية ١٥: ١٣).

ومع المرنّم نقول: فيما كان القبر مختوماً اشرقتَ منه أيها المسيح الإله. وفيما كانت الأبواب مغلقةً وقفت بالتلاميذ يا حياة الكلّ. وجدّدت لنا بهم نعمة الروح المستقيم بحسب عظيم رحمتك.

**المسيح قام، حقاً قام**

**الداعي بالرب**
**البطريرك ثيوفيلوس الثالث**
**بطريرك المدينة المقدسة أورشليم**

# البناء على الصخر

## للقديس يوحنا الذهبي الفم

«فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذه وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ» (مت ٧) .

ما هي قوة الفضيلة إذاً؟ إنها العيش بثبات، فلا تتغلب علينا الشدائد بسهولة. ونسمو نحن على كل مضايقينا. فأيُّ شيء يعادل ذلك الحال؟! اللابس التاج الملوكي لا يستطيع أن يضمن ذلك لنفسه، بل من يتبع طريق الفضيلة، فهو يصل إلى توازن كبير، وفي أمواج الظروف العاتية يَعبُر وكأنه في بحر هادئ. وهذا مذهل إذ أن ذلك لا يكون في الطقس الجيد، بل عندما تصفع المؤمن ريح عاصفة، وتشتدّ عليه الاضطرابات وتتوالى التجارب، فإنه لا يهتزُّ ولا يرتجف. إذ يقول **السيد المسيح:** «ينزل المطر وتجيء الأنهار وتقع على ذلك البيت فلا يسقط لأنه مؤسَسٌ على الصخر». مجازيًا المطر هُنا والأنهار والرياح هي **الكوارث والضيقات البشرية، كالوقيعة والمؤامرات والأحزان، والميتات الفجائية، وفُقدان أهل البيت، ومُضايقات الغرباء، وكلّ الشُرور في حياتنا التي يمكن ذكرها.**

يقول يسوع أن نفسًا كهذه لا تتأثَّر بأيٍّ من هذه الأمور. والسبب هو أن النفس مؤسسة على الصخر. ويدعو الثبات «صخرة» لأن أوامره ووصاياه هي في الحقيقة أقوى من كُلّ صخرة، إذ تضع الإنسان فوق أمواج الأمور البشرية كُـلِّها. فمن حَفظَ هذه الأمور بدقة يُقاوم، لا الذين يُزعجونه فحسب، بل الشياطينَ المتآمرين عليه أيضًا. والرسل هم شهودنا على ذلك، لأنهم حين ضَرَبَتْهُم كل أمواج العالم، ووقفت ضدَّهم كلُّ الأمم والحكام، وشعبهم أيضًا والغرباء، والأرواح الشريرة والشيطان، وقفوا راسخين أقوى من الصخرة، فبدّدوا كلَّ الاضطرابات. وكانت حياتهم أسعد من حياة الآخرين.

فلا الثروة ولا قوة البدن ولا المجد ولا السلطان ولا أيُّ شيء آخر يمكنه أن يوفر لنا الأمان، إنما الذي يوفره هو **امتلاك الفضيلة.** لأنه ما من حياة أبدًا تخلو من كل الشرور، وأنتم شهود وترون المؤامرات في قصور الملك، والضيقات والمتاعب في بيوت الأغنياء، لكنَّ شيئًا من هذا لا تجدونه بين الرسل. ماذا إذن؟ ألم يعانوا هم من شرور على أيدي الناس؟ بلى، لقد عانوا من أبشع المؤامرات وواجهوا أشدَّ العواصف التي انفجرت في وجوههم، لكنَّ أرواحهم لم تنهزم أبداً، ولا أصابهم اليأس، بل صارعوا بأجساد عارية وانتشرت كرازتهم وانتصروا.

وكذلك أنتم بالمثْل، إن أردتم تحقيق هذه الأمور، فسوف تضحكون على كلِّ المتاعب وتَزْدَرُونَها. أجل، لأنكم إن تقوَّمتم فقط بهذه الفلسفة لن يؤذيكم شيء، ولن يقدر عليكم من يحيك ضدكم المؤامرات. هل سيسلب أحد أموالكم؟ حسنًا ، لكن قبل أن يهدّدكم فإن الرب أمَرَكُم أن تحتقروا المال، وأن تتعفّفوا عنه تماماً. وفي نفس الوقت لا تظنوا أن هذا الأمر من تدبير ربكم. فهل يرمونكم في السجن؟ ألم يأمركم أن تَحْيَوا هكذا، وأن تُصلبوا عن العالم؟ فهل يتكلمون عنكم بالشر؟ قد خلصكم المسيح من هذا الألم أيضًا، بوعده

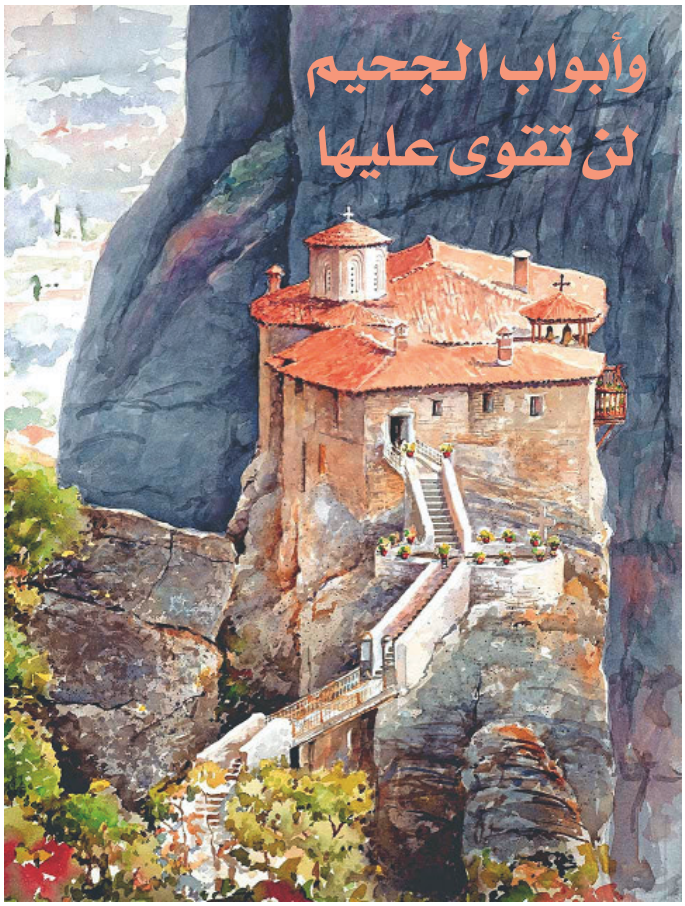


لكم بمكافآت عظيمة إذا احتملتم الشر. وقد حرّركم من الغضب والاضطراب الناجم عنه. فهل ينفيكم أحد ويسبب لكم متاعب جمة؟ حسنًا ، فإن الربّ يجعل إكليلكم أكثر مجداً. فهل يدمركم ويقتلكم؟ حتى وإن فعل هذا فإنه ينفعكم نفعاً كبيراً. إذ تنهال عليكم أكاليل الشهادة، وتبلغون السماء بمنتهى السرعة بلا تعب، وتتوفر لكم أعظم فرص المجازاة الوفيرة والغنى .. والأمر الأكثر عجبًا من كل ما سبق، أن كل المتآمرين ضدكم، إذ لا يقدرون إلحاقَ الضرر بكم، يجعلون من أنفسهم موضع ازدراء ...

لنأخذ مثال **آخاب وإيليا**. لأن واحداً بنى على الصخر والآخر على الرمل، ورغم أنه كـان مَلِكًا، خاف وارتعب عند مقابلته للنبي، ارتعب من إنسان لا يملك إلا جلد غنم. هكذا كان اليهود وليس الرسل، فرغم أن الرسل كانوا قليلي العدد وفي سلاسل، إلا أنهم أظهروا رسوخًا كالصخر، أما اليهود فعلى الرغم من كثرة عددهم وتسليحهم ... بقدر ما بنوا على الرمل كانوا أضعف من الجميع. لأن الشر هكذا دائمًا واهنٌ ضعيفٌ، لكن الرسل ليسوا كذلك، إذ قالوا: «نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا» (أع ٤).

أرأيتم روحًا بهذا النُبل، وصخرة تسخر من الأمواج وتحتقرها ؟ أرأيتم بيتًا لا يتزعزع؟ إنهم لا يهتزون أمام المؤامرات المدبرة ضدهم، بل بالحريّ يتشجعون بالأكثر، ويلقون الآخرين في مزيد من الارتباك والقلق. ومن يضربْ حجرًا صلبًا ترتدَّ الضربةُ عليه، ومن يركلْ حجرًا ترتدَّ الركلةُ إليه، ومن يصبْ الآخرين بالجراح ويثر مؤامرات ضدَّ الأتقياءُ فهو الذي يقع في الورطة. لأنَّ الشرَّ دائمًا هو الأضعفُ، كـلَّما نظَّم نفسه ضدَّ الفضيلة .. وهكذا كلُّ من يضرب الفضلاء ويقيّدُهم يجعلهم أكثرَ مجداً ويدمرُ هو نفسَهُ. وكلما زادت عليك الآلام وأنت تحيا حياة البرِّ كلما صرتَ أقوى.

# «أرْسَلَني لأَشفيَ المُنكسري القُلُوب، لأنَادِيَ للْمَأْسُورينَ بالإطْلاَق، وللعُمْي بالبَصَر، وأُرْسِلَ المُنْسَحقِينَ في الحرِّيَّة، وأَكْرِزَ بسَنَة الرَّبِّ المقْبُولَة» (لو٤:١٨-١٩)

## للقديس كيرلس الإسكندري

نادى المسيح بإطلاق سراح الأسرى، بأن قَيَّدَ قدمي الشيطان بالأغلال وكان طاغية باغية يتسلّط على رقاب الناس، وسَرَقَ من المسيح رعيّته وخليقته ، فَرَدّ السيّد ما نهبه إبليس ظلمًا وعدوانًا.

أُرْسِلَ المسيح ليهديَ قلوبًا أغواها الشيطان، فأسدَلَ ستاره من الظلام الدامس، أما المسيح فبدّد غشاوة الليل الحالك وأصبحت رعيته تسير في الضوء الوهّاج والنّور السّاطع، كما ورد في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي: «جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا من ظلمة» (١تس٥:٥).

لقد أبصَرَ العميان وأنيرت الطُرق ومُهّدَت المرتفعات، وذلك بمجيء المسيح المخلّص الفادي: «أنا الرب دعوتك بالبرّ، فَأُمْسكُ بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم» (إش ٤٢:٦).

جاء المسيح فأعلَن عهداً جديداً لإخوته الإسرائيليين، ولكن رفَضَ اليهود هذا الضوء الوهّاج، فَسَطَعَ نور المسيح البَهيّ على الأمم، فأطلَقَ وحَرَّرَ المنسحقين. وكل ذلك يدل على أن المسيح إله بطبيعته فهو إله حقّ من إله حقّ.

وما المراد بالقول: «أنادي المأسورين بالإطلاق» ؟ تشير هذه الآية إلى جمهور البؤساء التعساء الذين أوقعهم الشيطان في حبائله.

وما معنى القول: «أكرز بسنة اللّه المقبولة» ؟ تشير هذه الآية إلى جلال الأخبار المفرحة التي تعلن قدوم السيّد المسيح، هذه هي السنة المقبولة التي شاء **المسيح فَصُلِبَ فيها نيابة عَنّا** لأنّا بصَلبه قبلنا اللّه الآب وكنا بعيدين عنه، إذ وردَ: «وأنا إن ارتَفَعْتُ من الأرض أَجْذِبُ إلَيّ الجميع» (يو١٢:٣٢). وحقّـًا قام المسيح في اليوم الثالث منتصراً على قوّة الموت، ولذلك يقول: «دُفِعَ إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨:١٨).

أليست هذه السنة سنة مقبولة وقد انضممنا إلى أسرة المسيح، وخَفَقَ علينا عَلَم يسوع، وتطهّرنا بالعماد المقدّس، واشتركنا في طبيعة المسيح الإلهيّة بنيلنا الروح القدس ؟!

إنها لسنة مقبولة تلك التي أظهر فيها المسيح مجده بمعجزات باهرة، وقَبِلْنا بفرح وابتهاج نعمة الخلاص والفداء على حدّ قول بولس الحكيم: «هوذا الآن وقتٌ مقبول، هوذا الآن يوم خلاصي» ((٢كو٦:٢). حقّاً إنه مقبول إذ فيه فازت الأمم بكنز الإنجيل السمائيّ ونالت رسالة السماء المفرحة وكانت في الماضي بعيدة عن نعمة الخلاص، لا أمَل لها بالنجاة، وليس إله تقصد إليه في العالم، أما الآن فنحن أعضاءٌ في المملكة المسيحيّة، وشركاءُ طغمة القديسين الصالحة، وورثةُ نعَم وبَركات يَقْصُرُ عن تصوّرها العقل وعن وصفها اللسان «ما لَم ترَ عينٌ ولَم تسمع به أذنٌ ولم يخطر على بال إنسان ما أعَدَّه اللّه للذين يحبّونه» (١كو٢:٩).

وتشير عبارة «**المنكسري القلوب**» إلى أولئك الناس ضعاف القلوب مزعزعي العقيدة، هؤلاء الذين لا يمكنهم مقاومة الميول والشهوات، فيرخون العنان لعواطفهم الدنيئة، فيشتدّ الخناق عليهم ويضيق بهم مكان الأسر. أما المسيح فَيَعِد مثل هؤلاء المأسورين بالإطلاق ويناشدهم: ألا ارجعوا إلَيّ فأشفيكم وأغفرُ لكم إثمكم وخطيّتكم.

أما الذين عُمِيَتْ بصائرُهم فإنّ المسيح يهبهم الضوء والنور، هم عميان لأنهم عَبَدوا المخلوق دون الخالق: «قائلين للعود أنتَ أبي وللحجر أنتَ ولدتني» (ارميا ٢:٢٧). هؤلاء الناس جهلوا طبيعة المسيح الإلهيّة، فَحُرِمَ عقلهم من النور الروحيّ الحقيقيّ.

وليس هناك من يعترض على نسبة هذه الأمور كلها إلى جماعة الإسرائيليين، فقد كانوا فقراء ومنكسري القلوب وأسرى يهيمون في دُجى الليل الحالك «الكل قد زاغوا معاً وفسدوا، ليس مَن يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز١٣:٣).

نزل المسيح فبَشّر الإسرائيليين قبل غيرهم من الشعوب، أما الأمم الأخرى فلم تكن دون الإسرائيليين عمى وجهلاً، ولكنّ المسيح أغناها بحكمته وَهَذَّبَها بعلْمه ، فلم تظلّ ضعيفة العقل سقيمة الرأي، بل أصبحت سليمة المذهب قَوِيّة الحجة.

# إرسالية حلّ الجحش ـ القديس أثناسيوس الكبير

«قال لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها، فحلاهما وأئتياني بهما، فمضى الرسل تلاميذه القديسون وحلوهما حسب ما أمر الرب».

**يا أحبائي، حلّ الجحش موهبة!**

إنها موهبة تُعطى للعظماء، لا عظمة الجسد بل عظمة الإيمان والمحبة والعقل والفضيلة، مثلما شُهد به عن موسى أنه صار عظيماً في شعبه .. فإنه مَنْ كان عظيماً يقدر أن يحلَّ الجحش! .. ليتني أكون مثلهما أستطيع أن أفكَّ قيود الحاضرين لأن كلّ واحد منَّا **مُقيَّد بقيود الخطية** ، كما شهد الكتاب قائلاً: إن كلَّ أحد مربوط بجدائل (بأربطة) خطاياه.

لنبتهل إذن لكي يُرسل الرب يسوع تلاميذه إلينا، فيحلّونا من القيود المُكبَّلين بها جميعاً، إذ بعضنا **مُقيَّد بحب الفضة، وآخر بقيود الزنا، وآخر بالشكّ، وآخر بالظلم**.

الحاجة ماسة أن يرسلَ إلينا تلاميذه فيحلّونا من **قيود الشرّير**، لأنه هكذا قال لتلاميذه: انطلقوا إلى القرية المقابلة فستجدون جحشاً مربوطاً حلوه وائتوني به.

حلّوه من الأرضيات وائتوا به إلى المدينة، المدينة السمائية. كما يكتب الرسول المغبوط بولس قائلاً:« ليست لنا ها هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة، التي صانعُها وبارئُها اللّه». وقال أيضاً: «إنكم لم تدخلوا إلى نار ملموسة مضطرمة بل قد دخلتم إلى مدينة الإله الحيِّ أورشليمَ السمائية».

فاذهبوا أيها الرسل وحلّوا الجحش، لأنَّ حضور مخلصنا (بتجسده) ومحبته للبشر، إنما هو استدعاؤنا ثانية من القرية المجاورة إلى أورشليم المدينة السمائية، لأنه بسبب المعصية الصائرة من آدم طُرِدَ من الفردوس، ونُقلْنَا إلى القرية المحاذية، لأن اللّه أخرج آدم وأسكنه مقابل جنةَ النعيم، القرية المقابلة.

**ها هم تلاميذ يسوع يَحلّون الجحش.**

أرسل الربّ التلاميذ إلى القرية ليحلّوا هذا الجحش، لأنّ من أجله أقبل المخلّص، وترك الـ ٩٩ خروفاً غير الضالة، كي يمضي ويفتش عن الضال، وإذا وجده سُرَّ به.

من أجل الضال، أرسل يسوع التلاميذ إلى القرية المحاذية، لأني أعرف أن قوات غير منظورة كانت تخدم يسوع، ولعلّ تلك القوات أرسلها الربّ مع أصحاب بطرس إلى القرية المحاذية ليحلّوا الجحش، فقد قيل عن الربّ أن ملائكة جاءت وكانت تخدمه، وعن الناس يهتف داود قائلاً: أعطاهم خبزاً سمائياً، لأنه لا يستطيع من يهوى أمور الجسد أن يصل إلى هذه المدينة الكبرى، لأن الجسدانيَّ مقيم بعد في القرية، لأن شهوة الجسد عداوة للّه ... لأنه إذا سلك أحد الناس في مدينة الفضيلة والعفاف واستنار بالحكمة وعكف على النُسك حينئذ يصير نظير القديسين، لأن القديسين ليست لهم ها هنا ـ كما سبقت وقلت ـ مدينةٌ راحة، بل هم طالبون العتيدةَ التي

صارخين إليكَ يا غالبَ الموت أوصانا في الأعالي مباركٌ الآتي باسم الرب

صانعها وبانيها اللّه.

فلما مضى التلاميذ حلّوا الجحش، لأنَّ (هذه الموهبة) لهم خاصةٌ أن يحلوا هذا الجحش، **لأن كثيرين يظنون أنهم تلاميذ يسوع المسيح، ولكنهم ليسوا عاملين بل غاشين مثل يهوذا.**

قد كان للجحش أصحاب كثيرون لأن أصحاب الجحش قالوا للتلاميذ: لماذا تحلون الجحش؟ ولعلهم قالوا لهم: أما تبصرون يا قومُ كيف هو مربوط وهو مُسلَّمٌ إلينا فَلِمَ تأخذونه منَّا ؟ إنه يساعدنا في عملنا .. لمَ تحلّون أملنا ؟ إنكم تريدون أن تعدمونا هذا. وهذا إن انْحَلَّ من القيود فنحن لا محالة نُقيَّد عوضاً عنه، وإن عُتِقَ هذا فنحن نُشْجَبُ بدلاً منه ـ لأن الشياطين كانوا خائفين لما أبصروا الجحش قد انحل، واضطربت القوى المضادة لما أتى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وعلموا بقدومه. تفرقوا وفزعوا لما سمعوا الربّ يقول لتلاميذه: «قد أعطيتكم سلطاناً أن تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو». رهبوا لما سمعوه يقول: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»، وخشوا لئلا يكون هذا هو الذي ينير الظلمة، لأنهم سمعوا النبي قائلاً: «الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً».

كان الكلّ يحيط بالجحش، كلّ أصحابه جالسون يحرسونه. أتُرى لو كان هذا شيئاً محسوساً كان كل أصحابه يجلسون يرصدونه؟ يكون ملكاً لأصحاب كثيرين وكلّ مالكيه يجلسون جواره، ولا يتجرأ أن يمشيَ أحدهم في سوق ولا يكونَ لهم عمل آخر، كلّهم يجلسون بجانب حمار. أيُرْبَطُ حمارٌ محسوسٌ على قارعة الطريق ولا يكون له مذودٌ ولا يمضي إلى حقل! هل يربط

جحش على قارعة الطريق وكلّ أصحابه يجلسون يحرسونه؟ إني أقول هذه الأقوال، ولست مبطلاً الرواية (التاريخية)، لأننا لسنا نبطل بالروح ما هو مكتوب، بل نحفظ القوة التي للروح بالمكتوب، لأنه بالحقيقة قد جلس الربّ على حمار حسيّ في دخوله من بيت عنيا إلى أورشليم، لأنه هكذا قال النبي: «قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعًا وجالسًا على أتان وجحش بن أتان»، فإذن الرواية صادقة لكني أطلب الأمور التي ترمز إليها، وألتمس قوة الروح.

قد جلس على جحش ونحن لا نشكُّ ولا نجحد مجيئه بالجسد لأنه من أجل هذا أقبل لكي يجد إلهًا لك. ولكي يسترجع الضالّ. إن الإله المحبَّ للبشر الذي من أجله أقبل يوعز إلى تلميذيه قائلاً لهما : انطلقا إلى القرية التي أمامكما تجدا جحشًا مربوطًا حلاّه وائتيا به إليَّ. خيرات عظيمة منحنا الربّ إياها لأنه لم يحلَّ قيودنا من الخطية فقط بل منحنا سلطانًا أن ندوس الحيات والعقارب وكلّ قوة العدوّ، **لأنّ الشرير وقوات ظلمة هذا العالم أسرونا فقيّدونا وربطونا بقيود لا تنحلّ ولم يكونوا يسمحون لنا أن نسلك الطرق الصالحة**. كنا معهم مقيّدين وهم أيضاً بحذاتنا جلوس. **قومٌ أشرار وسادةٌ قساةٌ** ، لكنّ **ربنا ومخلصنا يسوع المسيح** أقبل ليعطيَ إطلاقاً للمأسورين والبصرَ للعميان.

وبالجملة، أرسل تلاميذه فحلوا الجحش، وأعدَّ له مرعى، لأن النبي يوضح هذا: «الرب يرعاني فلا يعوزني شيء، في مراع خضر يسكنني على ماء الراحة يوردني». وقال أيضاً: «يرسل للبهائم عشبًا وخضرة لخدمة الناس».

فلنرجع إذن يا أحبائي، لنتقبّل الخيرات الواردة إلينا. فنستطيع أن نقول مع داود النبي: «أعددت قدامي مائدة مقابل الذين يحزنونني».

وقيل «الثور يعرف قانيه والحمار مَعْلَفُ صاحبه»، ولعلّ من أجل هذا الجحش اضطجع يسوع في مذود. ألم يكن ليوسف موضع؟ قد كان رجلاً شريفًا وإنسانًا منسوبًا إلى جنس ملكيّ، كان ابنًا لداود. أفلم يكن له موضع إلا هذا؟ ألم يوجد موضع آخر؟ لكن من البيِّن أن الأمور المدبرة كانت أموراً إلهية، وحقًا إن خَصْمَنا الشيطانَ حين شاهد هذه الأمور **حسد جنس البشر**.

فلنفحصْ ذواتنا إن كانت **القيود قد حُلَّت** ، وَلْنُقْبِلْ إلى ما هو أفضل، وإن كانتَ قيودك لم تُحلَّ بعد فادفع ذاتكَ إلى تلاميذ يسوع. فقد أخذوا من المخلص سلطانًا مثل هذا: «ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطًا في السماء ..» وقال أيضاً: «من غفرتم لهم خطاياهم غفرت لهم ومن امسكتموها عليهم أمسكت».

**سعداء هم الذين غفرت خطاياهم وسترت آثامهم.**

قال أصحاب الجحش للتلاميذ: لماذا تحلون الجحش؟ فأجاب التلاميذ ان صاحبه محتاج إليه. أنظر إلى إجابة التلاميذ الحكيمة، فإن أصحاب الجحش الكذبة لما سمعوا أن صاحب الجحش الحقيقيّ في حاجة إليه **وَلَّوا ظهورهم** ولم يجيبوا، بل اسرعوا إلى رئيسهم الشرير ليخبروه بالأمور التي تمت .. هناك المؤامرة على الربّ، لأنَّ هناك التأمت القوى الرديئة، هناك محفل الأشرار كي يتمَّ قول النبي: «قامت ملوك الأرض والرؤساء اجتمعوا معًا على الربّ وعلى مسيحه». لأنّ الأبالسة قالوا لرئيسهم الشرير ماذا نصنع؟ الجحش قد تّم حلّه ومضى إلى صاحبه، ومن الآن ليس تحت طاعتك ولا تملكُهُ. **فَكَّرَ إبليس** ماذا يصنع بيسوع واجتمع الفريسيون والكهنة إلى دار قيافا، واشتركوا في الرأي على المسيح ليهلكوه. فإذ قد تحررنا من استعباد الشيطان فلنعرف المحسن إلينا، ربنا يسوع المسيح، الذي له المجد إلى الأبد آمين.

## طالب بالكنز

ذكرت إحدى نشرات الأخبار أنّ طردًا وصل سريعًا إلى شخص ما في إنجلترا واردًا من مدينة في جنوب إفريقيا. أمّا الرجل المُرسَل إليه الطّرد، فقد رفض أن يدفع رسوم استلامه، وبناء عليه فقد ظلّ هذا الطّرد الذي لم يُطلب لمدة ١٤ عامًا يُستخدم كمسند للقدمين في مكتب الرسائل والطرود. ويومًا ما، ولمجرّد حب الاستطلاع، فإنّ أحد الأشخاص عرضَ ثمنًا بخسًا في أحد المزادات على هذا الطّرد، وفاز به، وعندما فتحه، فقد اندهش جدًا لما وجده، فقد وجد في الطّرد **عدّة آلاف من الجنيهات الإسترليني**. بسبب أن الشخص المُرسَل إليه الطّرد رفض أن يدفع مبلغًا زهيدًا في استلامه بالمقارنة مع الكنز الذي كان بداخله، فقد فقَدَ فُرصة لا تُعوّض.

هكذا الناس أيضًا قصيرو النّظر، فهم يحرمون أنفسهم من حياة مليئة بالبركات، لأنّهم ببساطة يرفضون أن يُطالبوا بها. إنّه يوجد في مُتناول يدنا أعظم بركات، ألا وهي بركة التَبنّي كبنين وبنات اللّه ؛ كل اهتمام اللّه بنا ومحبّته وعنايته، والحياة الأبديّة والوجود في حضرته البهيّة السنيّة. كل هذه العطايا وغيرها من العطايا فائقة المعرفة والبركات العظيمة قد نلناها من خلال المعموديّة المقدّسة، ولكن للأسف كثير منّا لا يُطالبون بها بل ويخيبون عنها، ونستخدمها كمسند للقدمين، ونرفض أن ندفع رسوم الحصول عليها، وذلك بأن نرفض أن نعطي وقتًا للرب، وأن نسمع تعاليمه وتعليماته لنا من خلال قراءتنا ودراستنا في الكتاب المقدّس، ونرفض التوبة والبحث عن الغفران، وأن نقبل المسيح داخلنا في سرِّ الإفخارستيّا من خلال نفوسنا المُطهّرة بدمه الإلهيّ، وأن نسير في ضوء تعاليمه في كل ما نعمله أو نتكلّم به، وأن نجعله السيِّد الشخصيَّ والحقيقيَّ لنا. نحن نرفض أن ندفع ثمنًا قليلاً مُقابل ربح عظيم نجتنيه. يبدو أنّنا حكماء جدًا في أمور هذا العالم، وأغبياء للغاية من جهة الأمور الروحيّة. نحن نهتم جدًا من جهة: «**ربح وعمل عظيم**» في أشغالنا، ولكن الشيء الوحيد العظيم الذي علينا أن نرنو اليه هو أن ننال الغنى السماويَّ والحياة الأبديّة التي نحصُل عليها من خلال المعموديّة التي تجعلنا شركاء الميراث مع المسيح. إنّ هذا هو الكنز العظيم الذي تدعونا الكنيسة أن نطالب به في عيد الظهور الإلهيِّ بأن نجدِّد نذور معموديّتنا، وبأن نجحد الشيطان وكلَّ أعماله، وأن نقبل المسيح لنا مُخلِّصًا وفاديًا ؛ رَبًّا وسيِّدًا. **وأن نُميت آدم الأول ونتحّد بآدم الثاني**.

# تألّم دون أن يتألّم

## للقديس كيرللس الإسكندري

يحدثنا القديس بولس عن الآلام المخلصة، فيقول: «لكي بنعمة اللّه يذوق الموت» (عب٢:٩). وأيضًا «سلمت إليكم أولاً ما استلمته أنا أيضًا، أن المسيح مات عن خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث» (١كو١٥). وكذلك بطرس الحكيم جداً يقول هو أيضًا: «فإذ قد تألم المسيح بالجسد لأجلنا» (١بط٤:١). هكذا نؤمن أن ربنا يسوع المسيح الواحد أي اللّه الكلمة، رأيناه في شكل بشريٍّ عندما تجسّد وتأنّس وصار مثلنا.

ولكن كيف نَنْسِبُ إليه الآلام، وفي نفس الوقت نؤكّد أنه كإله لا يتألّم ؟

الآلام تخصُّ التدبير. واللّه الكلمة جعل ما يخصُّ جسده يخصُّه هو نفسه بسبب الاتحاد الفائق الوصف. لكنه ظلَّ فوق الآلام حسب مقتضى طبيعته لأنّ اللّه لا يتألم.

ولا غرابة فيما نقول، لأنّ نفس الإنسان تظلُّ فوق الآلام عندما يتألم جسدُها. ونحن لا نعتبر النفسَ بعيدةً عن الآلام، أو أنَّ الآلامَ عندما تحدثُ للجسد لا تخصُّ النفسَ، لأنَّ الجسدَ الذي يتألمُ هوَ جسدُها. وعندما يتألمُ الجسدُ فالنفسُ المتحدةُ به وهيَ منْ طبيعة بسيطة لا تُلمَسُ، لا تظلُّ بعيدةً عن الألم، لأنّ الجسدَ الذيَ يتألمُ ليس غريبًا عنها بالمرة. هكذا يمكننا أن نفهمَ آلامَ المسيحِ مخلصِ الجميع.

وسوف أستخدم أمثلةً توضحُ لنا جزئيًّا، كيف بسبب الاتحاد اشتركَ الابنُ الوحيدُ في الآلام، ومع ذلك ظلَّ حرّاً منَ الآلام كإله ...

في سفر اللاويين يأمرُ اللّهُ بإبعاد الأبرص عن المحلة لأنَّهُ ملوَّثٌ ونجسٌ، لكن عندما يبرأُ فإنهُ يتطهرُ. ولذلكَ يأمرُ الناموسُ «الكاهن أن يُؤخذ للمتطهِّر عصفوران حيّان طاهران، وخشب أرز وقرمز وزوفا، ويأمرُ الكاهن أن يُذبحَ العصفورُ الواحدُ في إناءٍ خزَفٍ على ماء حيٍّ. أما العصفور الحيُّ فيأخذه مع خشب الأرزِ والقرمز والزوفا ويغمسهما مع العصفور الحيِّ في دم العصفورِ المذبوح على الماء الحيِّ، ويَنضحُ على المتطهر من البرص سبعَ مراتٍ فيطهرُهُ، ثمَّ يطلقُ العصفورَ الحيَّ على وجهِ الصحراءِ» (لا ١٤).

هكذا بدمِ المسيحِ الكريم وبالمعموديةِ المقدسةِ نتطهرُ ونغتسلُ منْ لطخاتِ القذارةِ العالقةِ بنا، ومن موتِ الشهواتِ الحسية.

وعلينا أن نلاحظ كيف تتحدث الأسفارُ المقدسةُ بطريقة خفية. فالأسفار تُشبِّه المسيحَ بعصفورين ـ دونَ أن يعنيَ هذا وجودَ ابنين ـ بل الواحد من اثنين، أي لاهوت متحد بالناسوت.

العصفوران طاهران، وهذا يشير إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يخطئ، لأن الكلمةَ قدوسٌ في لاهوته وناسوته. واستخدم الكتابُ المقدسُ الطيورَ كإشارة ورمز إليه. لأنّ إرتفاع الطيور في الهواء هو رمز إلى ارتفاعه، وإلى أنَّه من فوق، لأنّ المسيح هو الإنسان الذي من السماء (١كو١٥:٤٧)، رغم أنه ولد من العذراء بالجسد.

كيف إذاً هو من فوق ومن السماء؟ اللّه الكلمة من فوق ومن الآب، الذي أخذ جسداً من العذراء القديسة وجعله جسده الخاصّ، قال كما لو أنه قد جاء به من فوق ومن السماء: «ليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان» (يو٣). لأن الكلمة يعطي جسده من صفاته، حتى أننا يمكننا أن نقول بسبب الاتحاد أنه (الجسد) نزل من السماء، لأنه (الكلمة) عندما اتحد به جعله واحداً معه.

ولاحظ أنه عندما يُذْبَحُ العصفور الأول، يُغْمَسُ العصفور الثاني في دم الأول دون أن يموت. ما معنى هذا؟ إن الكلمة حيّ وإن مات جسدهُ، وبسبب الاتحاد اشترك هو في الآلام، لأن الجسد الذي تألم هو جسدُهُ هو. وهو الواحد بعينه، تَقَبَّل هو نفسه الآلام دون أن تتألم طبيعته.

لقد جاع المسيح، وتعب من المشي، ونام، ودخل في القارب، وضربه معذبوه، وجلده بيلاطس، وبصقَ عليه الجنود، وطُعِنَ في جنبه بالحربة، وقُدِّم له الخلُّ الممزوجُ بالمُرّ. بل ذاق الموت، وتألم على الصليب، وتحمل إهانات اليهود. كلُّ هذه الأمور يعتقد المخالفون أنها حدثت للإنسانَ، ويمكن أن تُنْسَبَ فقط لشخص الابن. لكننا نؤمن كما بإله واحد الآب ضابط الكلّ ـ خالق كلّ الأشياء المنظورة وغير المنظورة ـ نؤمن أيضاً بالواحد ربّنا يسوع المسيح ابنه، ونرفض أن نُقسّم عمانوئيل إلى إنسان مستقلّ عن الكلمة. ولأننا نعرف أن الكلمة صار إنساناً بالحقيقة مثلنا، نقول إنه هو نفسه إله من إله. وإذ أخذ شكلنا صار إنساناً مثلنا مولوداً

من امرأة. وأنه بسبب اتحاده بالجسد تألم بكل الإهانات لكنه احتفظ بما له من عدم الألم، لأنه ليس إنسانًا فقط بل هو نفسه اللّه. وكما أن الجسد هو جسده، هكذا آلام الجسد ورغباته الطبيعية وكلّ الإهانات التي وجهها البعض، كلُّ هذا احتمله هو لأنه كان موجهًا إلى جسده الخاص به.

**لقد تألم دون أن يتألم.**

ولما وَضَعَ ذاته لم يتحوّل إلى بشر، لأنه احتفظ بخواصّ طبيعته وبكل ما يجعله أسمى من المخلوقات. لأنه إذا افترضنا أنه تغيّر أو تحولت طبيعتُهُ الإلهيةُ إلى طبيعة جسدية فإنَّ ذلك يقتضي منا الاعترافَ ـ حتى ولو بغير إرادتنا ـ أن الطبيعةَ الإلهيةَ قابلةٌ للتغيير والتألم. لكنه ظلَّ غيرَ متغيرٍ رغمَ تجسده لأنّ مِنْ خواصّ الطبيعة السمائية عدمَ التغيير وعدمَ الألم بينما منْ خواصِّ الجسد التغيير. وعندما أخذ جسداً وأصبح جسدَهُ الخاصَّ به الذي اتحدَ بَه، نقولُ بسبب هذا الاتحاد أنهُ تألمَ حينما تألمَ جسدُهُ، لكنَّ صفةَ عدمِ الألمِ هي أيضًا صفةٌ حقيقيةٌ تخصُّهُ.

... وعندما يقول من خلال الأنبياء: «بذلت ظهري للضاربين. وجهي لم أستر عن العار والبصاق» (إش ٥٠)، وأيضاً «ثقبوا يديّ ورجليّ أحصَوا كلَّ عظامي» (مز٢٢)، وأيضاً : «وضعوا في طعامي علقمًا وفي عطشي يسقونني خلاًّ» (مز٦٩)، فإننا نخصّصُ كلّ هذا للإبن الوحيد، الذي تألم تدبيريًا في الجسد حسبما تُعلِّمُ الكتبُ المقدسةُ «لأننا بضرباته شُفينا» (إش٥٣)، ولكننا نعترفُ أنه غيرُ قابلٍ للألمِ بالطبيعة.

# العلم وبساطة الإيمان

## للقديس بايسيوس الأثوسي

يبدأ الشر عندما يركز العقل فقط على العلم، وينفصل كلياً عن اللّه. لهذا من الصعب على الناس الذين يفكرون بهذا الشكل أن يجدوا الاعتدال والسلام الداخليّ. وعلى العكس، عندما يدور العقل حول اللّه، ويستنير ويتقدس، يُستعمل العلم من أجل تهذيبنا روحـيًا ولمنفعة العالم.

من الممكن أن يكون العلم ذا فائدة عظيمة، لكنه أيضًا من الممكن أن يلخبط العقل بصورة كبيرة. لقد قابلت أناسًا على درجة كبيرة من الشفافية والصفاء بالرغم من تعليمهم المحدود.

لو أمكن لأولئك الذين لخبطوا عقلهم بالعلم أن ينقوه بنعمة اللّه، فمن الطبيعي أن يكون عندهم أدواتٌ أكثرُ لعملهم. لكن لو لم تتقدس هذه الأدوات، أي لو كانت معرفتُهُم تفتقر للقداسة، فالعِلْمُ سوف يُسْتَعْمَل فقط للعمل العلْمَانيّ وليس للعمل الروحانيّ.

العلماء والمتعلمون الذين يعطون الأولوية لتكوينهم الداخليّ ولاستنارة الروح، الذين يستخدمون التعليم الدنيويّ لخدمة النموّ الروحيّ، سوف يختبرون تقدمًا روحيًا سريعًا. وإن كانوا أيضًا يحيَوْنَ حياة روحية، سيكونوا قادرين على مساعدة العديد من الناس بصورة إيجابية، عن طريق إزالة القلق من الجحيم من قلوبهم، وفُتِحَ أمامَهُم الطريقُ للفرح السماويّ.

هناك العديد من أناس اللّه، ليس عندهم درجات أكاديمية مثل الآخرين ولكن يمكنهم مساعدة الناس أكثر، لأنهم مملوؤن من النعمة الإلهية بدلاً من الشهادات. الخطية تملأ العالم بصورة كبيرة، فما نحتاجه بالأكثر هو وجود أناس مكرَّسين للصلاة يحيون حياة روحية.

كل هذه الكتب والأوراق مجرد عملة ورقية، لها قيمة فقط إذا كان هناك إحتياطيٌّ من الذهب في بنوكنا، أي عندما تكون حياتنا روحيةً بالتّمام. ولذا يجب أن نُعَمِّق الحفر في منجم أرواحنا، لأنه بدون ذلك يكون العلم والتعليم ليس لهما أية قيمة.

أتذكر راهبًا مسنًا في أحد الأديرة **Esphigmenou monastery** بجبل آثوس ، كان راهبًا ساذجًا وبسيطًا جدًا، لدرجة أنه كان يظن أن «**أنالبسي**» (كلمة يونانية معناها الصعود) هو أسم لإمرأة قديسة. وكان أحياناً يصلي لها على المسبحة قائلاً :«يا قديسة اللّه، تشفعي من أجلنا!». ويوم من الأيام كان عليه أن يطعم راهبًا مريضًا في المستشفى، ولم يكن عنده أيُّ شيء يقدمه له. فنزل السلم فوراً، وفتح النافذة التي تُشرف على البحر، وبسط ذراعيه وقال: ﴿يا قديستي «انالبسي» أعطني سمكة صغيرة للراهب المريض﴾، ومباشرة، بصورة معجزية، قفزت سمكة كبيرة من البحر مباشرة إلى يده. الآخرون الذين رأوا المشهد تعجبوا جدًا، لكنه بكل بساطة نظر إليهم مبتسمًا، وكأنه يقول: «ما هو الغريب فيما شاهدتموه؟».

والآن انظروا إلينا، ربما نعرف كل شيء عن حياة واستشهاد القديسين، ونعرف عن حادثة صعود الرب ومتى وكيف حدثت، لكننا لا نستطيع أن نصطاد ولو سمكة صغيرة! هذه هي الأمور العجيبة والمتناقضة للحياة الروحية، التي لا يستطيع المثقفون ـ المرتكزون على أنفسهم وليس على اللّه ـ أن يشرحوها، **لأن معرفتهم عقيمة من هذا العالم، وأرواحهم مريضة بالأمور الدنيوية، وعقولهم فارغة من الروح القدس** .

# ها هوذا الختن يأتي في نصف الليل

موضوعان أساسيان نسجت بهما الصلاة المعروفة بصلاة الخَتَن والمخصّصة بالأيام الثلاثة الأولى من أسبوع الآلام، أي مساء أحد الشعانين، ومساء الاثنين، ومساء الثلاثاء.

الحقيقة الأولى المُعلَنة لنا هي اكتمال الملكوت في الصليب والقبر والقيامة.

والحقيقة الثانية هي أنّ طريقنا إلى الملكوت تمرّ بـ «يسوع المسيح وإيّاه مصلوبًا» (١كورنثوس ٢:٢).

إنّ كلمة الخَتَن تعني العريس ، (العريس في العبريّة حَتان חתן). وبينما تتلو الكنيسة على مسمعنا الأناجيل الأربعة بكاملها من خلال الصلوات اليومية، تدعونا إلى مأدبة عرس انطلاقًا من مَثَل العَذارى العاقلات المذكور في إنجيل متى (مت٢٥:١-١٣)، وهي تُنشد:

«ها هوذا الخَتَنُ يأتي في نصف الليل،
فطوبى للعبد الذي يجدُهُ مستيقظًا،
أمّا الذي يَجدُهُ مُتَغافلاً فهو غير مستحقّ ،
فانظري إذن يا نَفسي ألاّ تستَغرقي في النوم،
فَيُغلَقَ عَليْك خـارجَ المَلَكوت وتُسَلَّمي إلى الموت،
بل كُوني منتَبهةً صارخةً،
قدّوسٌ ، قُدّوسٌ، قُدّوسٌ أنتَ يا اللّه».

وتُشير الكنيسة بذلك إلى اكتمال انتظار العهد القديم وانتهائه إلى فصح مُقَدّس في المسيح يسوع.

الموضوع مأخوذ من نبوءة هوشَع الذي شَبَّه الشَعب بامرأة مخطوبة والخطيب هو الرّب (هوشَع ١:١٤-٢٢).

«هانذا اتملّقها وأذهب بها إلى البَريّة . . . وأخطبك لنفسي إلى الأبد». وكأنّ الربّ ينتزع الشّعب الذي يحبّه من كُلّ تَعَلُّق وشَهوة ، يُحَوِّل عشقه شوقاً أبديّـًا إليه في البرية حيث يختلي الحبيبان الواحـد بالآخر.

إنّ كلمة الفصح في العبرية تعني العبـور ، والعيد يشير تاريخيّـًا إلى عبور بني إسرائيل من عبوديّة مصر إلى حريّة شعب اللّه ، من أرض المنفَى إلى أرض الميعاد ، بعد أنَ يكون الربّ قد تودّد إلى شَعبه في الصحراء. وصلاة الخَتَن تُعلنُ لنا أن الفصح الحقيقيّ إكتَمَل في المسيح يسوع إذ به مَرَّ الكونَ بأسره من الموت إلى الحياة ، من عبوديّة الخطيئة إلى حريّة أبناء اللّه ، منَ زَمن العهد القديم إلى عهد جديد يحملنا فوق الزمن إلى حقيقة الملكوت الآن وهنا في ما بيْننا. فالملكوت قد صار الآن حقيقة، ولكنها حقيقة تُقتَنَى في اليَقَظة، في الصلاة والجهاد المستمرّ من قبَل كُل نفس مؤمنة استنارت بالمسيح وقَبلَت الدّعوة إلى صحراءَ تُصبح بالمسيح فردوسًا مُستعادًا.

أن نقبَل الدّعوة يعني أن نَسعَى لنُحافظ على هذا النّور المتدفّق علينا في حياة تَتّخذ الخَتَن مَقصدًا وأساسًا مُتَشَبّهين بالعَذارى العاقلات اللواتي يذكرهنّ لنا النصُّ الإنجيليُّ.

هذه الدعوة لنا لكي نحمل نور المسيح في حياتنا نؤكّدها أيضًا بشكل حسّيٍّ في القدّاس السابق تَقديسه «البروجيازمينا». تُتلَى على مسامعنا عدّة قراءات من سفر التكوين نَستعيد بها قصة الخَلق والسقوط والوَعد الخلاصي لإبراهيم. وبعد تلاوة القراءة المحدّدة لليوم ، يأخذ الكاهن شمعة مُضاءة ويرفعها تجاه المجتمعين للعبادة قائلاً: «نور المسيح مُضيءٌ للجميع». إذ ذاك يكون الشعب منحنيًا إلى الأرض فيَنهَض عند هذه الصرخة رمزًا إلى قيامته بالنّور. من الصّلب والموت يأتي إلى الفصح إذ يكون قد أُعطي القدرة على ذلك، وهو يُبدي استعداده عَلَنًا على ان يبتهل كلّ يوم قائلاً:

«ارتَض ان تُقَدَّم لَكَ تَسبحتي ... بقلب نَقيٍّ وبروح التواضع لكي أصير أنا أيضاً شريكًا للعذارى العاقلات بمصباح نفسي البَهِج» (افشين يُتلَى في صلاة النهوض من النوم).

وأيقونة العذارى العاقلات تُبسط لنا كل ذلك. يتوسّط الأيقونة بابٌ مُقْفَلٌ لا يُفتَح إلاّ لمَن حافَظَ على مصباحه نَيِّرًا ، أي سَعى ليَقتَنيَ معموديّته في صلاة مستمرّة وحياة مُكَرّسة. خارج الباب إلى يمين الرسم تَقف العذارى الجاهلات أي كلّ مَن أتاحَ لأمور هذه الدّنيا أن تطفىء مصباحه إذا انصَرف عن الشخوص المتواصل إلى وَجه المسيح. وداخل الباب، إلى يسار الرَّسم ، العَذارى العاقلات، النفوس اللواتي اغْتَسَلْنَ بدم الفادي، وهنّ يبدون متسربلات بثياب بيض (رؤيا ٧:٩-١٤). هؤلاء: «منتصبين أمام عرش اللّه... لنْ يجوعوا بَعدُ ولن يعطشوا بعدُ .. لأنّ الخروف يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيّة ويمسح اللّه كل دمعة من عيونهم (رؤيا ٧: ١٥-١٧). يظهرون في الرسم نيّرين في عالم أصبح في المسيح يسوع فردوسًا مُستعادًا. بابنا إلى هذا الفردوس هو **المسيح يسوع**. به

ندخُل إلى أورشليم الجديدة، «والمدينة ذهبٌ نقيّ شبه زجاج نقيّ .. وفيها ... نهرٌ صاف من ماء حياة لامعاً كالبلور ... في وسط سوقها وعلى النَهر من هنا ومن هناك شجرة حياة ... وورق الشجر لشفاء الأمم» (رؤيا ٢٢:١-٣). وها هي الآن أيضًا لتذكّرنا بأن الصليب «حامل الحياة ... وباب الفردوس ... وسور الكنيسة ... وطبيب المرضى، وقيامة المائتين ... والكنز الإلهيّ المدفون في الأرض ...» به « تظهر الكنيسة» « سماء كثيرة الأنوار ... والقبر الإلهيّ يوزِّع في العالم الحياة ، ويشتمل على ينبوع غير مائت، فيُفيض مجاريَ النعمة، ويتدفّق بمياه العجائب ويمنح الأشفية» (في صلاة السَّحَر لتقدمة عيد رفع الصليب في ١٣ أيلول شرقي).

أما الموضوع الثاني الأساسيُّ المطروح لتأملنا في صلاة الخَتن، فإنّنا نوجزه في صلاة المساء لليوم الأوّل إذ نُنشد:

«إنّني أنا الخالق الغَنيّ باللاهوت، قَد وافَيتُ لإخدُمَ بذاتي آدَم الفقير ، الذي لَبستُ صورته باختياري وسأبذل نفسي فداء عنه انا العادم التألّم باللاهوت».

فإذا كان الفصح لنا عبوراً إلى الملكوت، كُلٌّ منّا مدعوٌّ للإمتثال بالمسيح، «الذي إذ كان في صورة اللّه لم يَحسب خلسة ان يكون معادلاً للّه، لكنه أخلَى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وَضَعَ نفسه وأطاعَ حتى الموت موت الصليب» (فيلبي ٢:٦-٨). تتلو علينا الكنيسة سفر أيوب وفيه قمّةُ ما ذكره لنا العهد القديم عن رَجُل الآلام الذي يتغلّب على قوَى الشرّ بتواضعه المتناهي ومحبّته الفيّاضة وطاعته التّامة للّه. ويطوف الكاهن بأيقونة الخَتَن. «**المسيح يسوع واياه مصلوبا**».

الدعوة دعوة شخصيّة. درب القيامة يمرّ بالصليب. علينا إذن أن نَصلُبَ آدمَ الأوّلَ فينا، آدمَ الترابيَّ، نَصلبه بارتدائنا آدمَ الثانيَ الذي أطاعَ في حياة تواضع، «الذي لم يعرف خطية جُعِلَ خطيّة لأجلنا لنصير نحن برّ اللّه فيه» (٢كورنثوس ٥:٢١) ... «رأيناه فليس له صورة ولا حُسن ، لكن صورته مهانة وناقصة أكثر من بني الناس ... لأنّ وجهه رُذل، قد أُهين، ولم يُحتَسَب شيئًا. هذا يحتمل خطايانا ويتوجّع لأجلنا ونحن احتسبناه أنه في وجع وفي جراح من اللّه. هذا جُرِحَ لأجل خطايانا وتوجّع بسبب آثامنا. عليه أدبُ سلامتنا ونحنُ بجراحه شُفينا» (اشعياء ٥٣:٣-٥).

الأيقونة تُظهر بشاعةَ خطيئتنا وكأنّ الكنيسة تقول لنا: هذا ما فعله كُلٌّ منّا، هذه نتيجة خطيئتنا، وهذا أيضًا هو سرّ قيامتنا وحياتنا. نأتي معاً في صلاة الخَتَن لنعترف بذلك. الربّ يضيء بوجهه علينا من خلال الصليب والقبر والقيامة، ولكننا ما زلنا في عبوديّة العالم ، في إعواز وفَقر، نشترك مع الجموع صارخين: «**إرفَعْهُ، إصلبْهُ**». ونعترف بعدمِ إمكانيتنا من إتّباع المسيح حقّاً، من أن نجعله سيّدَنا الوحيدَ ومبتغانا الوحيدَ إذ نُرَنِّم:

« إنّني أشاهد خدرَك مُزَيّنًا يا مُخَلّصي،
ولستُ أملك لباسًا للدخول إليه،
فابْهِجْ حُلّةَ نفسي،
يا مانحَ النّورِ وخلِّصني».

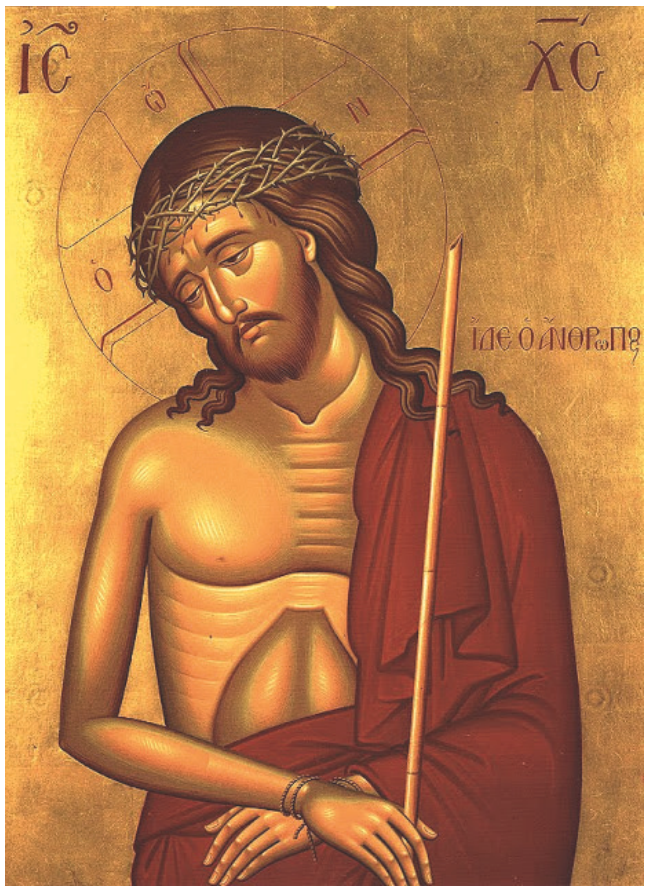


... «أيها المسيحُ الخَتَنُ،
إنّني لَم أمتَلكَ مصباحًا مُتّقدًا بزيت الفَضائل،
بلَ نَعستُ بَتهاوُنِ النّفسِ وماثَلتُ الحدثاتَ الجاهلات متوانيًا في اوانِ العَمل.
لكنَ أيّها السيّد لا تُغلق دوني جوانحَ رأفَتكَ،
بَل أزلْ عَنّي النومَ المدَلّهمَ وأنهضني
وأدخلني معَ العذارى العاقلاتِ إلى خدرِكَ».

في المسيح يسوع لنا الحياةُ والفرحُ، ليس باستحقاق فينا بل لأنّه هو «حَمَلَ خطايانا في جَسده على الخشبة لكي نَموتَ عن الخطايا فنحيا للبرّ» (١ بطرس ٢:٢٤).

وحتى منتصف الأسبوع العظيم كنّا نتلو ، خلال الصيام كلِّه ، معًا صلاةً تُلَخّص التوبة كلَّها وهي إفشين البّار إفرام السريانيّ:

«أيها الربُّ وسيّد حياتي، أعتقني من روح البَطالة والفضول وحبِّ الرئاسة والكلام البَطّال، وأنعمْ عَلَيَّ أنا عبدك الخاطىء بروح العفّة واتِّضاع الفكر والصَّبر والمحبّة، نَعم يا مَلكي وإلهي هَبْ لي أن أعرفَ ذنوبي وعيوبي ولا أدينُ إخوتي فإنّك مبارَكٌ إلى الأبد. آمين».

وإذ نتسربلُ هكذا بالتوبة الحقيقيّة ، يدعونا الربّ إلى مائدته المقدّسة بصحبة تلاميذه في ذكرى العشاء الأخير التي نقيمها في خميس الأسرار تقدمةً لآلام الصليب المحيية.

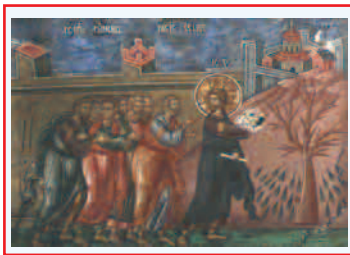

**أيّتها النفس الشقيّة تفطّني لساعة الانقضاء. واجزعي من قطع التينة. واعملي وضاعفي الوزنة المعطاة لكِ بعزمِ محب التعب. وانتبهي ساهرة وصارخة لئلا تلبث خارج خدر المسيح.**

# الرسالة الفصحيّة
## للقديس أثناسيوس الإسكندري

## وهي الرسالة الثالثة ، كتبت بمناسبة

# عيد القيامة المجيد
## في ١١ نيسان سنة ٣٣١

### لنُعَيِّد رَغم الضيقات وبُعدنا عنكم :

لقد أقبَل يوم العيد مرّة أخرى يا إخوتي الأحباء، الذي ينبغي أن يُكَرَّس للصلاة أكثر من كلّ الأعياد الأخرى، والذي دعانا الناموس أن نحتفل به، فإذا لم نتكلّم فيه اعتُبِرَ هذا أمراً لا يَليق بقداسة العيد. ومع أنّ الذين اضطهدونا قد أعاقونا عن أن نُعلن لكم هذا الموسم (في حينه) ، لكننا: «**نشكر اللّه الذي يعزّي المتضايقين**» (٢كو٦:٧). **فإنّ شَرّ مضطهدينا لم يهزمنا، ولم يُسكتنا. لكننا إذ نطيع صوت الحقّ، فإنّنا نهتف معكم بصوت عال في يوم العيد. لأن إله الكُل قد أمر قائلاً: تكلّم وليحفظ بنو إسرائيل الفصح» (عد٩:٢)**. ويحثّنا الروح القدس في المزامير قائلاً: «انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدكم المقدّس» (مز٨٠:٣). والنبيّ يصرخ قائلاً: «عَيِّدي يا يهوذا أعيادك» (ناحوم ١:١٥).

إنّي لا أكتُب لكم كلمة كأنّكم جهلاء، بل أعلنها لمن يعرفونها، لكي تدركوا أنه، وإن كان الناس قد فصلوا بيننا، فإنّ اللّه يجمعنا معاً، لذا نقترب إلى عيد واحد، ونعبد ربّـًا واحـدًا بصفة مستمرّة. ونحنُ لا نُعَيِّد كمن يحفظون أيامًا، لأننا نعرف أن الرسول وَبَّخَ مَن يفعلون هكذا، بهذه الكلمات قائلاً لهم: «أتحفظون أيامًا وشهورًا، وأوقاتًا وسنين» (غلاطية ٤:١٠). بل بالحريّ نُكَرِّم هذا اليوم المقدّس بسبب فرح العيد، حتى نستطيع كلنا، نحن الذين نخدم اللّه في كل مكان، أن نُرضيَ اللّه بصلواتنا الجماعيّة. وقد أعلَن الطوباويُّ بولس اقتراب بهجة كهذه، لم يُعلن أياماً، بل أعلَنَ الربّ نفسه، وهو الذي من أجله نحفظ العيد، قائلاً: «المسيحُ فصحُنا قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٥:٧)، لذلك فإنّنا نحن جميعاً إذ نتأمّل أزليّة الابن الكلمة، نقترب إليه لنخدمه.

### لنُتاجِرْ بالوَزنات شاكرين:

**لأنه لأيّ شيء جُعل العيد سوى لكي يتعبّد الإنسان ؟ وما هي هذه العبادة إلا الصلاة الدائمة للّه، والشُّكر المستمر** ؟ أما غيرُ الشاكرين فإنّهم إذ يبتعدون عن هذه العبادة يُحرَمون بعَدل منَ الفَرح النابع منها، لأن «الفرح والبهجة انتُزِعَت من أفواههم» (إر ٧ :٢٨-٣٤). لذلك لا يسمح «**الكلمة**» أن يكونوا في سَلام، لأنّه: «لا سلام قال الربّ للأشرار» (إش٤٨:٢٢). وهم يَكدّون في ألم وحزُن. لهذا، حتى الذي كان مَديناً بعشرة آلاف وزنة لَم يمنحه الإنجيل الصفحَ في عيني الربّ (متى١٨:٢٤). لأنه بعدما سامحه سيّده بالكثير، لم يَرحم (رفيقه) في القليل، لذا عوقبَ أيضًا على (العشرة آلاف) السابقة، لإنه بعد أن نال هو نفسه رَحمةً، كان من الواجب أن يرحمَ العبدُ رفيقَهُ.

هكذا أيضاً الذي أخذ الوزنة الواحدة، ولفَّها في منديل، وأخفاها في الأرض، قد طُرِحَ خارجًا لعدم شُكْره، وسمع هذه الكلمات: «أيها العبد الشرّير والكَسلان عرفتَ أنّي أحَصد حيثُ لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، فكان ينبغي أن تضَعَ فضّتي مع الصيارفة. فعند مجيئي كنتُ آخذ الذي لي مع ربًـا. فخذوا منه الوزنة، وأعطوها للذي له العشرُ وزنات» (متى ٢٥:٢٦-٢٨). لأنّه عندما طُلب منه أن يُسلِّم لسيّده ماله (الوزنة)، كان عليه أن يعترف بجميل مَن أعطاه هذه الوزنة، وبقيمة هذه العطيّة. لأنّ الذي أعطاه لم يكن رَجُلاً قاسياً. لأنه لو كان قاسياً لما كان قد أعطَى (عبيده) الوزنات منذ البداية. ولم تَكُن العطيّة التي قدّمها غير نافعة أو باطلة، وإلا لما كان قد وَجَّـهَ له أيَّ لوم. لكنَّ الحقيقة أنّ مَن أعطَى كان صالحاً، والوزنة التي أعطاها كان يمكن أن تُثمر. كما أنّ «محتكر الحنطة في وقت الحصاد ملعونٌ» (أم١١:١٦)، كما يقول سفر الأمثال، **لذلك فالذي يهمل النعمة، ويخبّئُها دون أن يتاجر بها، يُطرَح خارجاً بحَقٍّ، كشخص شرير ومتذمّر. وعلى هذا الأساس مدَحَ السيّد أولئك الذين ربحوا بوَزناتهم قائلاً: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين، كنتَ أميناً في القليل فاقيمك على الكَثير، أدخُل إلى فَرح سيّدك» (مت٢٥:٢٣)**.

### لتَتجاوبْ إرادتُنا مع النعمة الإلهيّة:

**كان هذا عَدلاً ومعقولاً، لأنّهم (أولئك الذين نمّوا وزناتهم)، كما يُعلن الكتاب المقدّس، قد رَبِحوا بقدر ما أخذوا. والآن، يا أحبائي، ينبغي أن تتجاوب إرادتنا مع نعمة اللّه**، ولا نَتَخَلَّف عنها، **وإلاّ فإنّ هذه النعمة الممنوحة لنا تبدأ بمفارقتنا، إذا ظَلَّت إرادتنا خاملة.** وإذ يجدنا العدوّ (الشيطان) فارغين وعُراةً يدخل فينا، كما حدث مع الشخص الذي كتب عنه الإنجيل، والذي خرج منه الشيطان، «والذي إذ اجتاز في أماكن ليس فيها ماء، .. أخذَ سبعة أرواح أشرَّ منه، ولما عاد وجد البيت فارغاً، فسكن هناك، وصارت أواخر ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله !» (متى ١٢:٤٣-٤٥). لأنّ عدم التحلي بالفضائل

يهيّىء المجال لدخول الأرواح النجسة فينا. وعلاوة على هذا يوصينا الرسول أن لا تكونَ النعمة الموهوبة لنا غيرَ مثمرة. لأن تلك الوصايا التي كتبها الرسول لتلميذه تيموثاوس بصفة خاصّة، يؤكّد لنا، بواسطته قائلاً: «لا تُهمل الموهبة التي فيك ...» (١ تي ٤:١٤)،« لأنّ مَن يشتغل بحقله يشبع خبزاً .... أما طريق الكسلان فمليئة بالشوك» (أم١٢:١١،أم ١٥:١٩ سبعينية). لذلك فإنّ الروح القدس سبقَ فحَذَّرَ الإنسان من السقوط فيها قائلاً: «إحرثوا أرضكم ولا تزرعوا بين الأشواك» (إر ٤:٣).

لأنّه عندما يزدري الإنسان بالنعمة الموهوبة له، ويسقط في اهتمامات العالم، فإنّه يسلّم نفسه لشهواته، وهكذا يعثر وقتَ الإضطهاد (متى ١٣:٢١) ، ويصير غيرَ مثمر على الإطلاق. وهنا يوضح النبي عاقبة مثل هذا الإهمال قائلاً: « ملعون مَن يَعمل عمل الربّ برخاوة» (إر ٤٨:١٠). **لأنّه يجب أن يكون خادم الربّ مجتهداً وحريصاً، بل بالأحرى ملتهبًا كالنّار ، حتى إذا قَضَى على كلّ الخطايا الجسديّة بروحه الغيورة، يكون قادرًا على الإقتراب من اللّه، الذي دعاه القديسون «نارٌ آكلةٌ»** (تث ٤:٢٤، ٩:٣، عب ١٢:٢٩).

## لنُضْرِمْ نارَ الرّوح ، ولا نطفئْهُ:

**لَذلك فإنّ إله الكلّ الصانع ملائكته رياحاً (أرواحاً) هو روح، وجعل خدّامه ناراً ملتهبة (مز١٠٣:٤). وعند الخروج من مصر منع اللّه الشعب من لمس الجبل**، الذي فيه أعلن اللّه الشريعة له، لأنه لم تكن للشعب هذه الطبيعة (النّارية)، **لكنه نادى الطوباويَّ موسى إلى الجبل لأنه كان ملتهبًا في الرّوح، وكانت لديه نعمة ملتهبة لا تنطفىء، قائلاً: «يقترب موسى وحده إلى الربّ» (خر٢٤:٢)**. فدخل موسى السحاب، وعندما كان الجبل يُدَخِّن لم يَصبه أذى، بل بالأحرى نزَل مُطَهَّرًا: «بكلام الربّ النقيّ كفضّة مصفاة في الأرض ممحوصة سبعَ مرّات» (مز ١١:٦).

**لذا عندما اشتهى الطوباويُّ بولس ألا تبرد نعمة الرّوح الموهوبة لنا، نصحنا قائلاً: «لا تُطفئوا الروح» (١ تس ٥:١٩)**. لأنّنا نظلُّ شركاء المسيح، إنْ تَمسّكْنا بالرّوح القدس المُعطَى لنا منذ البداية. لأنه قال: «لا تطفئوا» ليس لأن الروح القدس خاضع لسلطان الناس، ويمكن أن يتأثّر بأيّ شيء منهم، **بل لأنّ النّاس الأشرار غيرُ الشاكرين يرغبون أن يطفئوه علانيةً، لأنهم كالنجسين ـ يُحزِنُونَ الروح القدس بالأعمال الشريرة**. «لأن الروح القدس روح الإستقامة يهرب من الغشّ، ولا يسكنُ في جسد خاضع للخطية، بل يفرُّ طافراً من الأفكار العديمة الفهم» (الحكمة ١:٥). ولأنّهم عديمو الفهم ومخادعون ومحبون للخطية، فإنهم لا زالوا يسلكون في الظلام، إذ ليس لهم «النور الذي ينير كلَّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم» (يو ١:٩).

## أنبياءُ ورُسلٌ أمسكتْ بهم هذه النّار:

وقد أمسكت نارٌ كهذه أرميا النبي، عندما كانت الكلمة (كلمة اللّه) في داخله مثل نار، وقال: ابتعدتُ عن كلّ مكان ولستُ أقدر أن أحتملها «لأنّ كلمة الربّ صارت لي للعار وللسخرة كلَّ النهار» (أرميا ٢٠:٨). ولما كان ربّنا يسوع المسيح صالحاً ومحبّاً للبشر، فقد أتى ليلقي نارًا على الأرض، وقال: «جئتُ لألقيَ نارًا على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت» (لوقا ١٢:٤٩)، لأنّ الربّ اشتاق ـ كما شهدَ في حزقيال (حز١٨:٢٣-٣٢) إلى توبة الإنسان لا موته. وذَلك لكي يُفنيَ الشرّ تماماً من جميع البَشَر ، فتستطيع النفسَ أن تأتيَ بثمر إذ قد تطهّرت، لأنّ الكلمة التي زرعها المسيح تُثمر: في بعضٍ ثلاثين، وبعضٍ ستين وبعضٍ مائة. (مر٤:٢٠).

وهكذا على سبيل المثال،أولئك الذين كانوا مع كليوباس (لو٢٤) . بالرغم من أنهم كانوا في البداية ضعفاءَ لعدم المعرفة، لكنَّ كلمة المسيح المخلّص ألهَبَت قلوبَهُم بعد ذلك، فأثمرت ثمارَ معرفته. **والطوباويُّ بولسَ أيضًا، عندما أمسَكت به هذه النّار، لم يعلنْها للحم ودمٍ، ولكنه بعدما اختبر النعمة الإلهيّة أصبح كارزًا بالكلمة.**

## عدمُ الإعتـراف بالنعّمة:

يهوذا الخائن يقبّل المخلّص قبلة غاشة

**لكن لم يكن الحالُ هَكذا بالنسبة للتسعة البُرص الذين تطهّروا منْ برصهم، ومع هذا لم يشكروا الربَّ الذي مَنَّ عليهم بالشفاء**، ولا مع يهوذا الذي حُسبَ رسولاً، ودُعيَ تلميذًا للربّ، ولَكنه أخيرًا «بينما كان يأكل الخبز مع المخلّص، رفع عليه عَقِبَهُ، وصار خائنًا» (مز ٤٠:٩ ،يو١٣:١٨). لكن مثل هؤلاء النّاس ينالون ما يستحقونه من جزاء ، لأنّ انتظارَهم يصير بلا جَدوى بسبب جحودهم. **إذ لا رجاءَ لناكري الجميل. والنّـارُ الأخيرةُ المعدّةُ لإبليس وملائكته تنتظر أولئك الذين لم يستجيبوا للنّور الإلهيّ.** وهكذا تكون عاقبة الجاحدين غير الشاكرينَ.

## تمجيدُ اللّه وشكرُهُ على كُلِّ حـــال :

**لكنَّ خدّامَ الرَبِّ الأمناءَ الحقيقيينَ، إذ يعرفون أنَّ الربَّ يحبُّ الشاكرين، فإنّهم لا يكفّون عن تمجيده، مقدّمينَ الشُكرَ للربّ كلَّ حين.** وسـواءً كان في وقت الـراحة والطمأنينة أو وقت الضّيق، فإنّهم يقدّمون للّه التسبيحَ مع الشُّكر، غيرَ مبالينَ بهذه الأمورِ الزمنية، بل عابدينَ الربَّ إلهَ الأزمنة.

**هكذا كان الحال مع أيوب، الذي كان أكثرَ صـبراً من جميع البشر**، فإنّه في وقت الرّخاء فكّر في هذه الأمور، وفي وقت المحنة، احتَمَل صابرًا، وعندما تألّم كان يشكُر. وأيضًا داود المتواضع، ترنّم مُسَبّحًا في وقت الضيق، وقال: «أبارك الربّ في كُلِّ حين» (مز ٣٣:١)، **والطوباويِّ بولس لم يَكفَّ عن شُكر اللّه في كلّ رسائله** : ففي وقت الطمأنينة لم يضعُفْ، وفي الضيقات كان يمجّد اللّه، «عالماً أنّ الضّيق ينشىء صبرًا ، والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يخزي» (رو٥:٣)،

**ونحن إذ نتتبّعُ أمثال هؤلاء الرِّجال، ليتنا لا نترك وقتاً دون أن نشكر اللّه**، ولا سيّما الآن، إذ أنّه وقتُ محنة وامتحان، لأنّ الهراطقة ثائرون ضدّنا، فلنسبّح الربّ مردّدين كلمات القديسين: «هذا كلّه جاء علينا، وما نسيناك» (مز٤٤:١٧).

وكما أنّ اليهود لم ييأسوا وقتئذ، رغم أنهم عانَوا من اعتداء خيام آدوم عليهم، ومن مضايقة أعداء أورشليم لهم ، بل بالأحرى

القديس أثناسيوس الإسكندري

**سبّحوا اللّه أكثر، هكذا نحن أيضاً يا إخوتي الأحباء فرغم أننا قد مُنعنا من التكلّم بكلمة الرب، سوفَ نُذيعُها أكثر فأكثر، وإذ ابتلينا بالمشقات فسوف نُرتّل المزامير** (يعقوب ٥:١٣). طالما كنا قد حُسبنا مستحقين للازدراء، والكَدّ قلقين لأجل الحقّ.

نعم وبالأكثر فإننا نشكر حتى إن اضطُهدنا محزونين، لأنَّ الرسولَ الطوباويَّ، الذي كان يقدّم الشُّكر في كلّ الأوقات، يَحُثّنا على الاقتراب من اللّه مثله، قائلاً: «لتُعلَم طلباتكم لدى اللّه مع الشُكر» (فيليبي ٤:٦)، وإذ يرغب أن نستمرّ بهذه الرّوح يقول: «أُشكروا كلّ حين، صلّوا بلا انقطاع» (١تس ٥:١٦-١٨)، لأنّه كان يعرف أنَّ المؤمنين يكونون أقوياءَ طالما هم يواظبون على الشُّكر، وبذلك الفَرح يرتفعون فوق أسوار العَدُوِّ، مثل أولئك القديسين الذين قالوا: «بكَ اقتحمنا أعداءنا، وبإلهي تسوّرتُ أسواراً» (مز ١٧:٢٩).

لنكنْ راسخينَ في (الإيمان) كلَّ الأوقات، خاصّةً الآنَ، رغمَ ما يحلّ بنا من ضيقات وما يثيره الهراطقة ضدّنا. **وهكذا يا إخوتي الأحباء فلنحتفلْ بالعيد المقدّس، والذي يقبلَ علينا الآن، ممنطقين أحْقَاءَ ذهننا** (١بط١:١٣) **متشبّهينَ بمخلصنا يسوعَ المسيح الذي كُتبَ عنه:** «البرّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْه ، والأمانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْه» (إش ١١ : ٥). «وليمسكْ كُلٌّ منّا بيده بالقضيب الخارج من جذع يَسّى، وحاذينَ أرجلَنا باستعداد الإنجيل» (إش١١:١، أف٦:١٥). ولنعيّدْ «ليس بخميرة عتيقة، بل بفطير الإخلاص والحقّ» (١كو٥:٨)، كما يقول القديس بولس ، واثقين وموقّرين صُلحنا مع اللّه بالمسيح، وإنّنا لم نَحِدْ عن الإيمان به، ولم نُدَنِّسْ أنفسنا معَ الهراطقة، ولا مع الغرباء عن الحقّ، الذين تشهد مناقشاتُهُم وإرادتُهُم عن خستِّهم. بَل ونحنُ فَرِحون في الضّيقات، نخترق أتون الحديد والظلام، ونعبر ذلك البحرَ الأحمرَ المُرعبَ دون أن يصيبنا أذى.

هكذا أيضاً عندما ننظر ارتباك الهراطقة، فإنّنا نُرَنِّم مع موسى تسبحة الغَلَبة قائلين: «نُرَنِّم للرّب مُسبّحين لأنه قد تعظّم» (خر ١٥:١). **وهكذا نُرَنِّم ممجّدينَ، وإذ نَرى أنّ الخطيّة التي فينا قد طُرِحَت في البَحر، نعبُر إلى البريّة. وإذ نتنقّى أولاً بالصوم الأربعينيّ مع الصلوات والأصوام والتدريب والأعمال الصالحة، نستطيع أن نعبر إلى أورشليم لنأكل الفصح المقدّس.**

## لنَستَعدَّ للعيد بالصلوات والأصوام والأسهار :

يَبدأ صوم الأربعين في (أول مارس ) **وبعد أن نتطهّر ونستعدَّ بتلك الأيام، نبدأ الأسبوع المقدّس لعيد القيامة العظيم في (٥ أبريل)، (هذا الأسبوع) الذي فيه يجب أن تكون لنا صلوات أطوَل، وأصوام وأسهار** حتى نستطيع أن ندهنَ أعتاب أبوابنا بالدم الثمين، فننجو من المُهلك (خر١٢:٧-٢٣).

ولنستَرِحْ في (١٠ أبريل)، لأنه في مساء ذلك السبت نسمع رسالةَ الملائكة: «لماذا تطلبون الحيّ من بين الأموات ؟ لقد قام» (لو٢٤:٥)، ثمّ يستقبلنا حالاً ذلك الأحدَ العظيم ـ أي (١١ إبريل)، الذي فيه **قام ربّنا** ووهبنا السلام مع إخوتنا.

وإذ نحفظ العيد حسب مشيئة اللّه، لنضفْ إلى ذلك اليوم الأول **(أحد القيامة)** من الأسبوع المقدّس، السبعة أسابيع للبنديكستي (عيد الخمسين)، وإذ نقبل نعمة الرّوح القدس، لنَشكُر الربَّ في كل حال، الذي به يليق المجد والسلطان للآب في الروح القدس، إلى الأبد أمين.

قَبّلوا بعضكم بعضًا بقبلة مُقَدّسة، يُسَلِّم عليكم الإخوة الذين معي، وإنّي أصَلّي من أجلكُم أيها الإخوة المحبوبين والمشتاق إليهم، أن تنعموا بالصحة، راجيًا أن تذكرونا في الربّ.

**(هنا تنتهي رسالة القديس أثناسيوس الفصحيّة الثالثة)**

# حكمة من قضاء اللّه

**اللّذة التي تُبهجُنا أكثر هي التي يَغلَب أن نفقدَها اولاً. والمراحم التي نفقدها سريعاً هي التي نحبّها أكثر. كم فقدنا من البركات الزمنيّة بسبب إفراط محبّتنا لها ، وقتلناها بسبب كثرة اعتبارنا لها وارتياحنا اليها. كلّ خير يقبض عليه الإنسان بشدّة ويُعلّق قلبه به لا يثبت ولا يدوم. كل ما تمسّه يد الإنسان يذبل ويفسد. وما اعظم ذلك برحمة، فإنّه بهذه الطريقة يجذب اللّه عواطفنا اليه إذ يعزل المخلوق المتسلّط على قلوبنا، ليتسلّط هو ، ويشقّق الآبار، حتى لا نجد ريّـًا لظمأ أنفسنا، إلاّ في ينابيعه الأبديّة، ويقصف القصبة المرضوضة ليسندنا بالصخر المتين، ويُبعد عنّا مُحبًّا وصَاحبًا ممن كانت تحلو لنا عشرته، ليقيم نفسه في مكانه بواسطة تجليه لَنا، لنستطيع القول لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيَّ .**

## رَوِّدكَ من كسب الذنوب

رَوِّدكَ من كَسبِ الذّنوبِ فأنتَ لا
تُطيقُ على نَارِ الجحيمِ ولا تَقْوَى
أترضَى بأَنْ تَلْقَى المُهَيْمنْ في غَـدٍ
وأنـتَ بِلا علـمٍ لَدَيـْكَ ولا تَقْوَى

**أجنحة المنافقين قصيرة**
**وسينتهي طيرانهم بعد وقتٍ قصير**
**وسيسقطون**
**في بحيرة الهلاك الناريّة**

# اللّه يعتني بنا

للقديس
يوحنا الذهبيّ الفم

«وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا» (متى٦:٢٨-٢٩)، وبعد أن تكلّم السيّد عن الطعام الضروريّ وعن وجوب حتى عدم الاهتمام من أجله، ينتقل إلى ما هو أسهل، لأنّ اللباس أقلّ أهميةً من الطعام. ولأيّ سبب لم يتخذ هنا مثلاً من حياة الطيور ولا أشار إلى الطاووس والأوز والخراف؟ لأنه أراد الإشارة إلى أن هناك أشياء بالرغم من تفاهتها إلاّ أنها تتميّز بنوع من الجمال، ولهذا فإنه بعد أن ذَكَرَ الزنابق، لم يُسَمِّها زنابقَ بل «عشب الحقل» (متى٦:٣٠)، ولم يكن راضيًا حتى بهذا الاسم، بل أضاف وصفًا لحالتها يدُلّ بالأكثر على ضعفها وتفاهتها بقوله: «الذي يوجد اليوم»(متى٦:٣٠)، ولم يقل «**الذي يوجد غدًا**» بل ذكر كلامًا يبرز تفاهة هذا الشيء بالأكثر بقوله إنه « يُطرح في التنور» ولم يقل مجرّد تعبير « **يُلبسه** »، بل « يُلبسه .. هكذا» (متى٦:٣٠)، أي **على أحسن وجه**.

أرأيتم كيف يُكثر السيّد من إعطاء التشبيهات الضخمة دائمًا ويعضدُ كلامه بالتأكيدات. إنه يفعل ذلك كي يردّهم إلى صوابهم؛ لهذا أضاف قائلاً: «أفليس بالحريّ جدّاً يلبسكم أنتم» (متى٦:٣٠). وفي هذا القول تأكيد قويّ، لأنّ كلمة «**أنتم**» لا تليق إلاّ بالقيمة الكبيرة لجنسنا، وعلى الاهتمام به، كما لو كان قد قال لهم: «أنتم، الذين منحكم الله نَفْسًا، الذين خلق اللّه لكم جسدًا، الذين من أجلكم خلق كل الأشياء المنظورة، الذين من أجلكم أرسل الأنبياء وأعطى الناموس، وصنع تلك الخيرات التي لا تُحصى، الذين من أجلكم أعطى ابنه الوحيد ومن خلاله نِلْتُم الهبات غيرَ المُحصاة».وبعدما أعطى لهم البراهين الكافية على عناية اللّه وَبّخَهم قائلاً: «يا قليلي الإيمان» لأن ذلك الذي ينصح الآخرين، لا يقدم النصيحة فقط بل يوبخ أيضًا، كي ينبه الناس بالأكثر حتى يؤمنوا بقوّة كلامه.

بكلام الرب هذا نتعلّم ، ليس فقط ألاّ نهتمَّ، بل ألاّ ننبهر بفخامة الملابس، لأنّ زنابق الحقل تتمتّع بألوان أفخمَ منها ومع ذلك فهي تتساوى مع عُشب الحقل. ولماذا تفتخر أنت بأشياءَ يفوقُها في الجمال عشبُ الحقل الذي لا قيمةَ له، والذي يُحرق بالنار؟ وانظروا كيف يوضّح منذ البداية على أن الأمر سهل، ويرشدهم إلى عدم الاهتمام باستخدام الأضداد أيضًا وبواسطة الأمور التي كانوا خائفين منها، لأنه بعدما قال « تأملوا زنابق الحقل» أضاف «إنها لا تتعب»، وذلك رغبةً منه في عتقنا من التعب. فالتعب لا يكمن في عدم الاهتمام بل في الاهتمام بهذه الأشياء. وكما في قوله « لا تزرع»، فليس الزرع هو ما أراد أن نتخلّص منه، بل الاهتمام المُقلق. هكذا أيضًا في القول «لا تتعب ولا تغزل» فإنه لا يُنهي عن العمل بل عن الاهتمام **(أي عن حمل الهموم)**.

جمال زنابق الحقل لا يفوق مَلبسَ سليمان مرّة واحدة ولا مرتين، بل «طوال فترة حكمه». ولَم يقل إن سليمان كان يلبس أفضل من أحدها أو شابهت ملابسه زنبقًا آخر ، بل قال إنه لم يكن يلبس «كواحدة منها»، لأنه كما أنه هناك اختلاف كبير بين الحقيقة والزّيف، هكذا أيضًا هناك اختلاف كبير بين جمال زنابق الحقل وملابس سليمان. إذن، إن كان مَلبس سليمان أقلَّ منها، مع أنه كان أكثرَ مَجْدًا من كلّ ملوك عصره، فَمتى ستقدر أن تتفوّق، أو بالحريّ أن تقترب ولو لدرجة صغيرة من جمـالٍ مثلِ هذا؟

بعد هذا يعلّمنا السيد ألاّ نسعى على الإطلاق إلى مثل هذا النوع من الجمال، لأنه يجدر بنا أن نلاحظ نهاية هذه الزنابق، فبعد نضارتها وجمالها « تُطرح . . . في التنور». فإن كان اللّه قد أظهر عنايةً عظيمةً جدًا بتلك الأشياء التافهة، وذات الاستعمال البسيط، فكيف سيتخلّى عنكم، أنتم الأهمُّ من كلّ المخلوقات الحيّة ؟ ولماذا إذًا خلقها هكذا جميلة جدًا؟ لكي يُظهر حكمته وعظمة قوّته، وحتى يُعرَفَ مجدُهُ عن طريق كلّ الأشياء. فليس فقط «السموات تحدث بمجد اللّه»(مز١٨:١)، بل الأرضُ أيضًا، وهذا ما أعلنه داود قائلاً: «سبحي الرب.. الشجر المثمر وكل الأرز» (مز١٤٨:٧). فالبعض منها بثمارها والبعض بضخامتها والبعض بجمالها ترسل إليه التسبيح، أي إلى الذي خلقها.

وهناك أيضًا علامة على عظمة حكمته الفائقة، عندما يغدق اللّه جمالاً عظيمًا كهذا على الأشياء التافهة جدًا، إذ أنه لا يوجد أتفه من الشيء الذي يوجد يومًا واحدًا وغدًا لا يكون. فإن كان اللّه قد أعطى **للعُشْبِ** هذا الجمال الذي لا يحتاج إليه (لأنه ما فائدة الجمال طالما ستأكله النيران؟) فكيف لا يعطيكم ما تحتاجون إليه؟. إن كان قد زيّن بسخاء ما هو أتفهُ من كلّ الأشياء وإن كان قد فعل هذا لا للضرورة بلْ من أجل جُوده، فكم بالحريّ جدًا أن يكرّمَكم وأنتم أفضلُ كلِّ المخلوقات، بأمورٍ هي ضروريةٌ لكم؟

وبعد أن بيّن السيد كيف أن عناية اللّه عظيمة جدًا، **وكان يَلزَمُ بعد ذلك أن يوبخهم**، إلاّ أنه كان رحيمًا معهم بقوله إنهم قليلي الإيمان ولم يقل عديمي الإيمان. «فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بَالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ ؟» (متى٦:٣٠) ، بالتأكيد إن الرَّب (يسوع) نفسَهُ يصنع كلّ هذه الأشياء إذ أنّ «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان» (يو١:٣). غير أنه في البدايةَ لا يذكر شيئًا عن نفسه، لأنه كان كافيًا في البداية أن يبيّن سلطانه الكامل بقوله في كل وصية من وصاياه: « سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم» (مت ٥:٢١). فلا تتعجبوا إذن عندما يحجب المسيح ذكر نفسه في الأمثلة التالية، أو عندما يذكر شيئًا قليلاً عن نفسه، إذ أنّ في البداية كان هدفه أن يجعل كلامه مقبولاً من الجميع، وبكلّ ما يقوله يُظهر أنّ له فكرًا واحدًا مع الآب وأنه يعمل باتفاق مع مشيئته، وهذا ما نراه في حديثه هنا أيضًا.

فمن خلال كلمات كثيرة جدًا قالها السيّد لم يكفَّ عن إظهار الآب لنا ، مشيرًا إلى حكمته وعنايته الإلهية واهتمامه الحنون بكلّ الأشياء الصغيرة والعظيمة معًا. لأنه حينما تكلّم عن أورشليم مانحًا إياها اسم «مدينة الملك العظيم» (مت ٥:٣٥)، وعندما ذكر السماء لَقبّهَا بـ «كرسيُّ اللّه » (مت٥:٣٤). وعندما كان يتحدّث عن تدبير الآب في العالم، عزا إليه كل الأشياء قائلاً: «إنه يُشرق شمسه.. ويُمطر..» (مت٥:٤٥). وفي الصلاة (الربانية) علّمنا أن نقول إن له «المُلك والقوة والمجد» (مت٦:١٣)، وهنا عن عناية الآب يقول إنه: «يكسو عُشب الحقل»، وفي الصلاة (الربانية) أيضًا لا يدعو المسيح، الآب بأنه أبوه هو بل أبوهم، حتى أنه عندما يخبرهم بما نالوه من كرامة فإنهم يخجلون من أنفسهم، وعندما يناديه أبوه هو، لا يتضايقون منه. فإن كان من واجب المرء ألاّ يهتم بالأشياء البسيطة أو حتى الضرورية.فأي عذر يكون للذين يهتمون بالأشياء الفاخرة؟ وكيف يكون هناك عذر للذين يسهرون لكي ينهبوا أموال غيرهم؟. «فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ ؟ فَإِنَّ هذه كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ.» (مت٦:٣١-٣٢)، أرأيتم كيف أخجلهم أكثرَ وأظهر لهم أنه لم يأمُرْ بعمل مرهق أو ثقيل الحمل؟ تمامًا فإنه عندما سبق أن قال لهم: «إن أحببتم الذين يحبونكم» (مت٥:٤٦-٤٧)، فإنه كان يحثّهم ويشجّعهم على فعل ما هو أفضل وأعظم ممّا تفعله الأمم. هكذا هنا أيضًا في هذه الآية يورد ذكر «الأمم» ليوبخنا وليدّل على أن ما يطلبه منا هو واجب ضروريّ علينا.

والسيّد لم يكتف بتوبيخهم فقط، بل إنه بعدما جعلهم يشعرون بالخجل الشديد فإنه أخذ يشجعهم بكلمات أخرى قائلاً: «لأن أباكم السماويّ يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» (مت٦:٣٢). ولم يقل « **اللّه يعلم** » بل «أباكم .. يعلم»، كي ينشئَ فيهم رجاءً أكبر. فإن كان هو أبًا، وأبًا كهذا، فلن يقدر أن يتغاضى عن احتياجات أولاده وهم في محَن الشرور وهو يرى أنه حتى البشر العاديون لكونهم آباء، لا يحتملون أن يفعلوا هكذا. وبعد ذلك أضاف حجة أخرى قائلاً: «إنكم تحتاجون إلى هذه» (مت٦:٣٢). ومعنى قوله الآتي: إن كنتَ تهتمّ بهذه الأشياء بحجة أنها ضرورية، فأنا أقول لك عكسَ ذلك، بمعنى أنه لهذا السبب نفسه يجب ألاّ تهتمَّ، لأنها ضرورية. إذ أنه أيُّ نوع من الآباء هو ذلك الأبُ الذي يمكنه أن يتغافل عن تلبية حاجات أولاده الضرورية؟ أقول إنه لهذا السبب عينه فإنّ اللّه سيمنحكم بلا ريب أكثرَ من هذا بكثير، لأنه هو خالق طبيعتنا البشريّة ويعلم بالضبط احتياجاتها أكثر منكم، ولأجل هدف معين اهتمّ أن تكون لها مثل هذه الاحتياجات.

لهذا لن يمنع اللّه نفسه عن أن يعطيها فيما أراد لها، أولاً هو لن يخضعُهُم لعَوَز عظيم هكذا، وثانيًا فهو يسدّ أيَّ احتياج ضروريٍّ لها. فلا نهتمّ إذَن، لأننّا لن نربحَ شيئًا بالاهتمام سوى أننا سوف نعذّبُ أنفسَنا بالأكثر. لأن اللّه سوف يعطينا ما نحتاج عندما نهتمّ وعندما لا نهتمّ على حَدٍّ سواء، وسوف تكون عطيّته أكثرَ عندما لا نهتمّ. لأنه ماذا ستربحُ من اهتمامك سوى العقاب الشديد لنفسك؟ إذ أنك عندما تُدعى إلى مائدة غنيّة فإنك لا تهتمّ بتوفر الطعام للمائدة، ولا عندما تذهب إلى النبع لتستقيَ تهتمّ بوجود المياه في النبع. فلنَدَعْ نحن أيضًا عنّا هذه الهمومَ، فإنّ عطايا الربّ لنا هي أغنى من هذه الموائد وأوفرَ مَن كُلِّ الينابيع.

## اطلبوا أولاً ملكوت اللّه:

«لكن اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ الله وَبِرَّهُ، وَهذه كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (مت ٦ :٣٣)، هكذا عندما اعتَقَ النفسَ من الاهتمام، ذكر عندئذ السماءَ أيضًا، حقًا قد أتى السيّد ليحرّرَنا من الأمور العتيقة وليدعُوَنا إلى موطن أعظم. إنه يفعل كلّ الأشياء ليعتقنا من الأمور غير الضرورية ، ومن انجذابنا نحو الأمور الأرضيّة، لهذا السبب ذكر الأمميّين قائلاً: «إن هذه كلّها تطلبُها الأمم» (مت٦:٣٣)، الذين يتعبون من أجل الحياة الحاضرة فقط، والذين لا يبالون بالنِّعَم العتيدة وليس لديهم فكرة عن الأمور السماوية. أما بالنسبة لكم، فليست هذه الأمور الحاضرة هي الأشياء الرئيسية لكن أشياء أخرى، لأننا لم نُخلق لنأكلَ ونشربَ ونلبسَ، بل لكي نرضيَ اللّه ونبلغَ الخيرات العتيدةَ، لهذا فكما أنَّ الأشياء التي هنا على الأرض هي ثانويةٌ بالنسبة لنا، هكذا أيضًا اجعلوها ثانويةً في صلواتنا، لهذا قال السيد: «اطلبوا أولاً ملكوت اللّه وبرَّهُ وهذه كلُّها تُزاد لكم». ولم يقل « **تُعطى**» بل « **تُزاد**» كي تتعلّموا أنه مهما عَظُمَت العطايا التي نأخذها هنا الآن فإنها لا تُقارَنُ بما سوف نأخذ من خيرات عتيدة. لهذا فهو ينصحنا بألاّ نطلب هذه الأمورَ الحاضرةَ بل العتيدةَ، وليكن لنا الإيمان بأنَّ هذه ستُزادُ إلى تلك.

وبالتالي اطلبوا الأمور العتيدة وستحصلون أيضًا على الأمور الحاضرة.. لا تطلبوا الأشياءَ المنظورةَ، إذ أنه حتمًا ستحصلون عليها أيضًا. قد يُقال: «ألم يأمرْنا بأن نسألَ من أجل الخبز»، لا ، فقد أضاف«خبزنا اليومي»، أو «خبزنا الجوهريّ»، هذا الأمر يستخدمه هنا في هذه الآية إذ أنه لم يقل «**لا تهتموا**» بل «لا تهتموا للغد» (مت ٦:٣٤)، وهو بهذا يعتقُ نفوسَنا منَ الاهتمام بالأمور غير الضرورية ووجَّهَ أنظارَنا إلى أن نطلب الأمور العتيدة، لا كأن اللّه محتاج أن نذكّرَهُ بل لكي نتعلّمَ أنه بمعونة الربّ نَصلُ إلى ما تصبو إليه نفوسنا من صالحات وأن نعتادَ على الصلاة منَ أجل الحصول عليها دائمًا. بنعمة الآب والإبن والروح القدس، الذي ينير نفوسنا.آمين

# الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور (٣٤)

## الرسل الأطهار

## قاعدة الأيمان

اللّه معنا عندما نُجَرَّب، ولدينا كلمات القديس بولس الرسول بخصوص هذا: «ولكن اللّه أمين الذي لا يَدَعُكُم تُجَرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعلُ مع التجربة المنفَذَ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠:١٣). قال الرب لبطرس يوماً: « سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبَكُم ليغربلكُم كالحنطة، ولكنني طلبتُ من أجلكَ لكي لا يَفنَى إيمانك، وأنتَ متى رَجعتَ ثَبِّتْ إخوتَكَ» (لو٢٢:٣١). فإن كان اللّه معنا هكذا، فَمَن يُمكنه أن يقوم علينا ؟

من أكبَر مشاكل الناس مع اللّه أنَّهم يشتكون من أنَّه لا يمكن لأحدَ أن يتَّصل به، أن يَجده، ويبدو غالباً أن اللّه بعيدٌ جداً، يبدو أنه غير شخصيٍّ، غير حقيقيٍّ.

لقد تغيَّر كُلُّ هذا في التجسُّد عندما تنازل اللّه ليلمسَ الأرضَ ويُقيمَ خطّاً مزدوجاً بين اللّه والناس. فيمكننا في شخص يسوع أن نتَّصلَ باللّه مُباشرةً ونخاطبَهُ شخصيّاً في الصلاة: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكُم كاملاً» (يو١٦ : ٢٤).

عندما وُلدَ يسوع، بَشَّرَ الملاكُ أنَّ اسمَهُ سوفَ يكونُ: «عمانوئيل الذي تفسيرُهُ اللّه معنا» (مت١:٢٣). كَم هو أمرٌ مُفجعٌ حقيقةً أنَّ المسيحيِّينَ غالباً ما يُفكِّرونَ في يسوعَ على أنَّه في الماضي، يسوع الذي كان أو يُفَكِّرون في يسوعَ الذي سوفَ يأتي، ولكن نادراً ما يُفَكِّرونَ فيه في الزمن الحاضر: إنه «اللّه معنا». وفي هذه الأيام التي تميَّزت **بالظلام والحيرة والقلق** ، نُريد ضماناً لنا برفيق في الطريق، يكون مُرشداً لنا في مسارنا الصعب، ومُعَزِّياً لنا في الشدائد والضيقات.

يُخبرنا إنجيل يوحنا أنَّ: «الكلمة صار جسداً وَحَلَّ بيننا» (يو١ :١٤). هذه هي الطريقةُ الوحيدةُ التي يمكننا أن نُعَبِّر بها عن «عمانوئيل ... اللّه معنا». فليس في سماء بعيدة وليس في كوكب بعيد، ولكن هنا بين الناس نجدُ اللّه، نجدُهُ يشاركُنا أسمى أهدافنا، يتحسَّسُ ضعفاتنا، يسندُنا في حَمل أثقل أحمالنا، يُطَهِّرُنا من خطايانا، يُرينا نوعاً من الحياة الذي له القيمةُ الأبديَّةُ، الحياةُ التي تستحقُّ الخلودَ.

قال جُنديٌّ لكاهن: «إنني ذاهبٌ إلى معركة خطيرة، هل يُمكنُكَ أن تُصلِّي لأجلي لأعودَ سالماً».

أمَّا القس فقد كان ذكيّاً جداً عندما أعطَى الجنديّ الإجابة: «يوجَد كثيرون سوفَ يُقتَلون في وَطيس هذه المعركة. الحرب رديئة، رديئة جداً، وقد تكون أنتَ واحداً من هؤلاء الذين يَقْضون أجَلَهُمْ في المعركة، إنني لا أستطيعُ أن أُصَلّي لأجلكَ لتنجوَ، ولكن سأقولُ لكَ ماذا سأفعلُ، إنني سوفَ أذهبُ مَعكَ».

اللّه يقول لنا كلَّ يوم إنّ الخطيَّة تُسبّب كثيراً من المعاناة والأمراض والموت. «إنّني لا يمكنني أن أعدَكُم أنَّكُم لن تتضايقوا وأنتُم في العالم، وأنكم لن تحملوا أحمالاً ثقيلةً أو أن تُجرَّبوا بشدَّة، كما لا يُمكنني أن أعدَكُم أنَّ الطريقَ لن يكونَ صعبًا إو مُرهقًا ، ولكني أعدُكُم بشيء واحد: سوفَ أكونُ معَكُم، سوف أذهبُ معَكُم، لن أترككُكُمْ أبداً أو أتخلَّى عنكم، سوف أكون معكم دائماً كلَّ الأيام وإلى انقضاء الدهر».

**وخلاصةُ القول، فالتجسُّد يعني:**

- أنَّ الإنسانَ ثمينٌ جداً لدرجة تجعل اللّه يُعطي ابنه الوحيد من أجل خلاص الإنسان.
- أنَّ كوكب الأرض هامٌّ جداً لدرجة أن تنطبعَ عليه قَدَما اللّه.
- أنَّ اللّهَ الذي أتى إلى بيت لحم، يستمرُّ في المجيء إلينا اليومَ كما سوفَ يأتي ثانية في مجده عندَ انقضاء الدهور.
- يلزمُ أنَّ الكلمة الذي صار جسداً في يسوع يتجسَّد فينا لنكون نحنُ امتداداً لتجسُّده.
- أنَّ صيرورةَ اللّه إنسَاناً في يسوعَ، تكشف لنا أن اللّه لنا ومعَنا:

**معنا في الألم والضيق، وفيه يرانا. معنا في الرخاء، ليحفظنا متواضعينَ. معنا في العَمَل ، ليحفظنا أُمناءَ. معنا في المسرَّات، ليجعلها مفيدة كنسمات الربيع. معنا في الأحزان ليمسحَ دموعَنا. معنا في الحياة ليجعلَها هادفةً. معنا في الموت، ليقودنا إلى ما وراء الموت، إلى موضعٍ:«لم تَرَهُ عَيْنٌ» المكان الذي أعدَّه اللّه للذين يُحِبُّونَهُ.**

# في الأهواء التمانية

## لأبينا القديس كسيانوس الرومي

## ٣ـ في الطمع

نقله الى العربية:
الأب منيف حمصي

أمّا جهادُنا الثالثُ فهو ضدُّ شيطان الطمع، الغريبُ عن طبيعتنا، والذي يستطيعُ أن يَنْسَلَّ الى حياة الرّاهب الذي يُعْوِزُهُ الإيمان. غيرَ أنَّ الأهواءَ الأخرى كالغضب والشّهوة، فتبدو مشروطةً بالجسد، وهي فطريةٌ لكونها تُغرَسُ في طبيعتنا معَ الولادة. إلاَّ أنَّ غَلَبَتَها تُصبحُ امرًا ممكنًا بعد جهاد طويل. اما مرضُ الطمع، فيمكنُ استئصالُهُ على نحو اسهَلَ، وذلك لأنّه يأتينا من خارج. ولكن اذا اهملناه، وتقاعَسْنا عن الجهاد ضدَّهُ، فيمكنُهُ ان يشتدَّ ويستفحلَ ليصبحَ اكثر بطشًا من الأهواء جميعها. والرسول الإلهيُّ يؤكّد ذلك فيقول: «إنّه أصلُ جميعِ الشرور» (١ تيمو ٦:١٠).

والآن دعونا ننظرْ إليه على النحو التالي: تتحرّكُ الشهوةُ في الأعضاء التناسلية ليسَ فقط عند الصغار الذين لا يميّزون بين الخير والشر، بل أيضًا عند الصغار جدّاً الذين لا يزالون يتناولون الحليب من صدور امهاتهم. وهؤلاء الرُّضَعُ، ورغمَ جهلهم لما هي اللذّةُ الحسيّةُ، يعبّرونَ عن ذلك بحركات في الجسد. وعلى نحو مماثل، فالقوّةُ الغضبيّةُ موجودةٌ في الأطفال، كما ، نرى ، وذلك عندما يثورون ضدَّ مَن يسعى لإلحاق الأذى بهم. وأقول ذلك لا كي أنحوَ باللائمة على الطبيعة فأجعلَها سببًا مباشرًا للخطايا معاذ اللّه. إنما أريد ان أقول أنّ القوّة الغضبية والشهوة، حتى ولو أنها مغروسة من الخالق في الإنسان لغاية حميدة، إلاّ أنّها تتبدّل بفعل الإهمال، فتتحوّل من أمر طبيعيّ إلى أمر دون الطبيعيّ. والحركات القائمة في الأعضاء التّناسليّة هي مِن اللّه من أجل الإنجاب واستمرار النَسل، لا من أجل الدَنَس والنجاسة. أما القوّة الغضبيّة فقد غُرِسَت فينا من أجل خلاصنا، وذلك كي تكون لنا قوّة نواجه بها الشَرَّ، لا كي نستخدمَها كوحوش ضارية ضدَّ إخواننا في الإنسانية. وحتى لو أننا استخدمنا الأهواء على نحو سيّىء، فالطبيعة الإنسانية نفسُها ليست أثيمةً، ولا يجوز لنا ان نلومَ الخالق. ومن يعطي انسانًا سكينًا لغرض ضروريّ ونافع، لا يُلام اذا قام مَن أعطيت له السكين واستخدمَها في جريمة قَتل. لقد ذكرتُ هذا، كي أوضح بجلاء أن **الطمعَ** هو هوًى يُستَمدُّ لا من الطبيعة بل من الإرادة الحرّة ومن الاستعمال الملتوي والمُعْوَجّ. وعندما يجد هذا المرضُ النفسَ فاترةً، ويعوزُها الإيمانُ في بدء الحياة الجهاديّة، فإنّهُ يقترح علينا عددًا من الأسباب الحسيّة المُبَرَّرة في الظاهر، وذلك للاحتفاظ بما كُنّا نملك. **وبعد ذلك يبادر، فيرسمَ في عقل الراهب صورةً لشيخوخة طويلة، ومرض جسديّ. لا بل يشجّع الراهبَ على أنّ ضروريات الحياةَ التي يقدّمها الديرُ، غيرُ كافية من أجل إنسان صحيح معافًى. حتى أن المَرضى في الدير تَنعدم العناية بهم. بدلاً من ايلائهم القَدْرَ اللائقَ والكافيَ من العناية والانتباه. إلا إذا كان هذا الراهب المريض، السقيم، قد سَبَقَ له أن أودَعَ بعض المال، لمثل هذا الظَرف. وتاليًا فإنّه سيموت ميتةً شنيعةً.** وفي النهاية يبادر هذا الهَوى إلى إقناع الراهب أنه لَن يَقوى على البقاء في الدير الذي يعيش فيه، وذلك بسبب المهمات الشّاقة الملقاة على عاتقه، وأيضًا بسبب قساوة رئيس الدير.

> **إذا طالعنا الأدب الرّوحيَّ نجد أنَّ إبليس عدوُّ الخير يُجَرِّب النّساكَ كي يعودوا إلى العالم أو إلى الدير. ويُجَرِّبُ الذين في الدير كي يتنسّكوا. ويجرّبُ الرهبانَ كي يعودوا إلى العالم، وبعض المتزوجين في العالم كي يترهّبوا. الغاية باختصار، ألّا يحبَّ الإنسان الوضع أو الإطار الذي هو فيه.**

وعندما يغرس في الراهب مثل هذه الأفكار ويُقنعه ان يَخفي بعض المال مهما كان مقداره، ويعلّمه ـ في غياب رئيس الدير ـ حرفة ما، بها يستطيع ان يدرأ عن نفسه مخاوفَ الغد، ومن ثمّ يبادر إلى خداع هذا الراهب بتوقعات سرّية، ويجعله يتخيّل ما سوف يجنيه من حرفَته، ويُلَوّحُ له بالرّاحةَ والأمان اللذين ينجمان عن ذلك. أما وقد استَسلم الراهبُ بالكليّة لفكرة الربح، **لا يعود ينتبه لأيٍّ من الأهواء الشّريرة التي تهاجمه : انفعاله الشديد عندما يتذكّر خسارة، حزنه واكتئابه عندما لا يَصل إلى ربح كان يتوق إليه.** وكما أنّ المعدة والأحشاء (هنا الكلام عن حُبّ البَطن)، هي للكثيرين بمثابة إله، هكذا هو المال بالنسبة للراهب الجشع. ولما كان الرسول الإلهيُّ بولس قد أدركَ ذلك جيّدًا، فقد سَمّى الجشع ليس فقط أصل كلّ الشرور، بل عبادة أوثان أيضًا (كولوسي ٣:٥). ولكن كيف يَقوَى هذا الهوَى (الجشع) على الإنسان فيقلب حياته ويحيله عابدًا للأوثان ؟ **السبب هو أنَّ هذا الإنسان يركّز جُلَّ اهتمامه على مَعشوقه، المال،** لا على اللّه، أي

على الصُّوَر الإنسانية المطبوعة في الذهب. وعندما تُظلم أفكار الراهب على هذا النحو، فإنه يَنحَدر إلى الحضيض، ولا يعود مُحبًّا للطاعة، فتراه متوترًا رافضًا، نمّامًا ، ثرثارًا، لا يَرضى أن يقوم بأيّ أمر يُطلَب منه، أو يوكل إليه أمر الاضطلاع به. لا بل إنه يُجيب مُحدِّثَهُ برعُونة وقساوة، وقَد فَقَد الإحساسَ بالإحترام والوَقار، وشَرَعَ يَتصرّفُ كحصانٍ شَرِس وعنيد. ومَن مثلَهُ، لا يَقبلُ بالطعام الذي يُقَدَّم له كُلَّ يوم، بل يشكو متأفّفًا أنه لا يَقوَى على العيش في مثل هذه الظروف إلى الأبد. وتراه دائمًا يردّد أنْ لا الحضرةُ الإلهيّةُ، ولا خلاصُ نفسه موجودان في هذا الدير. وفي النهاية يزعُمُ أنهُ سيموتُ حتمًا، إلاّ إذا غادَرَ الدير الذي يعيش فيه. وتراه أيضًا ينفعل ويندفع بسبب أفكاره الغامضة والمظلمة، وبسبب مكنوناته الداخلية، فيبادر إلى القول علنًا انه ينوي مغادرة الدير. وعندما يتكلم، تكون كلماته بعنجهيّة وكبرياء وَرُعُونة بِصَرف النَظر عمّا هي الكلمات الصادرة عن محدّثه.

مثل هذا الراهب لا يكترث لأيّ أمر يستدعي التصحيح والترشيد داخل الدير، وذلك لأنه بات يعدّ نفسَهُ غريبًا، لا بل متأفّفًا من كل ما يحصلُ في الشركة الديرية. ثمَّ بعدَ حين تراه يتوخّى الأعذارَ إذا احتَدَمَ غضبه، أو انجرَحَ كبرياؤه، فيصرّحُ توّاً أنه لن يغادر الدير بدون سبب وجيه. ومع ذلك، فهو لا يتورّع بين الفينة والأخرى عن اطلاق عبارة تنمُّ عن نميمة واغتياب او حديث تافه، وذلك كي يخدعَ ويغريَ انسانًا آخَر أمامَهُ مُحَرِّضًا إيّاه على مغادرة الدير معه، وكلُّ ذلك كي يجدَ لنفسه عزاءً وسلوى في ما يفعلُ. ولما كان الراهبُ الطمّاعُ الجشعُ مندفعًا بقوّة نحوَ شهوة القنية والثراء. فهوَ لنْ يحيا في سلام داخلَ الدير، ولن يتقيّدَ بقوانينَ الشركة الرهبانية cénobion . وعندما يكونُ إبليسُ قدْ نالَ منْهُ، كحالِ الذئب معَ فريسته، وأبعدَهُ عن القطيع، للحال تراه يتهيّأُ للإنقضاض عليه لإلتهامه، فيبادر إلى تحريضه على العمل ليلاً ونهارًا داخل قلايته في أمور أبدى فيها بالأمس تأفّفًا وامتعاضًا داخل الدير. بَل لا يسمح له بإقامة قانونه، وكلّ الصلوات الأخرى والأصوام والسهرانات. وإذ يتمكّنُ منه ويكبّلُهُ بقيود الجشع الرديء، يبادر توّاً إلى إقناعه بضرورة تكريس نفسه بالكلية للأعمال اليدوية. هناك في الواقع ثلاثةُ أشكال لهذا المرَض (الجشع) وكلُّها معًا يشجبُها الكتاب المقدّس، وكتاباتُ الآباء القديسين. ما هي هذه الأشكال الثلاثة ؟

الشكل الأوّل هو أنّ إبليس يبادر الى تحريض من كانوا في الماضي فقراء، كي يجمعوا ويكدّسوا كل ما كانوا محرومين منه في العالم.

أما الشكلُ الثاني، فهو أنَّ إبليس يُرغم كلَّ الذين سَبَقَ أن تخلّوا ـ بمحض الإرادة ـ عن الخيرات الدنيويّة، عبرَ تقديمها للّه، كي يندموا على ما فَعلوا، ويُبادروا من جديد مُبدينَ الشَوقَ إليها، والرغبة بها.

والشكلُ الثالث، هو أنّ إبليس يبادر منذ البداية فيضربُ الراهبَ في إيمانه وحماسته الروحية، ويدأب على الحيلولة دون التزام هذا الراهب بالتجرّد عن أمور العالم، فيغرسُ فيه الخوفَ منَ الفقر ويبدّد ثقتَهُ باللّه وبالعناية الإلهيّة، ويُحَرّضُهُ على الحنَث بكل

**في جبل آثوس المقدّس وجدت هذه الحكمة الآبائيّة :**

**إنّ مُتَّ قبل أن تموتَ، فلن تموتَ حين تموتْ .**

**إنّها طريق الحياة النسكيّة في الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة، فيجب أن نُميت آدم الأول وشهواته ، «أقمع جسدي وأستعبده» ونتّحد بآدم الثاني، نموت عن العالم ومغرياته والشرّ الذي فيه ، ونتّحد بالمسيح المُقام، تأكيداً لقول الربّ: ملكوت اللّه في داخلكم.**

**إنّ تذوّق ملكوت اللّه مُسبَقاً يبدأ هنا، من خلال التوبة الصادقة واتحادنا بالمسيح الظافر، من خلال الإفخارستيّا ، أيّ المناولة الإلهيّة، لإنّها دواء الخلود المعطَى لنا مجانّاً.**

الوعود التي قطعها على نفسه عندما غادر العالم والتَحَقَ بالدير.

والأمثلة على هذه الأشكال الثلاثة مُدانةٌ ومشجوبةٌ في الأسفار الإلهيّة. فقد أراد **جيحزي** أن يقتنيَ ما لم يكنْ له من قَبل، فلَم يَنَلْ نعمة النبوّة التي تمناها له معلمه. وبسبب لفتة النبي ورث برصًا لا شَفاءَ منه، بدل الخيرات والبركات (٢ملوك٥:٢٧). **ويهوذا الإسخريوطي** الذي تاقَ إلى المال الذي بمحض إرادته قد تَخَلَّى عنه عندما تَبِعَ المسيح أودَى به ذلك إلى خيانة المعلّم وتبديد المكانة التي كانت له مع رَهط الرسل، فأنهَى حياته بميتة شنيعة (متى ٥:٢٧). كذلك فإنّ **حنانيا وسفيرة** قَضيا عندما اختَلسا جزءًا مما كانا قد وضعاه بين أيدي الرسل (أعمال ٥:١-١٠). وفي سفر التثنية نرى **موسى** ينحو باللائمة على الذين تركوا العالم لكنهم احتفظوا بممتلكاتهم الدنيوية نتيجةَ الخوف الذي هو وليدُ عَدَم الإيمان، ويقول: «ومن هو الرجل الخائفُ والضعيفُ القلب ؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا تذوب قلوب إخوته مثل قلبه ...» (تثنية ٨:٢٠). هل هناك شهادة أكثر وضوحًا وجلاء من هذه ؟ ألا يليق بنا نحن الذين غادرنا العالم، أن نتعلم من هذه العبَر فننبذَ كلَّ اهتمام دنيويٍّ ونتوجّه إلى المعركة ؟ علينا ألا نُحرِّضَ الآخرين على رَفض الكمالات الإلهية الواردة في الكتاب المقدس، فيجبُنوا بسبب انطلاقتنا الرهبانية الضعيفة والمتردّدة. إلاّ أنّ بعض المخدوعين الذين تَملَّكَهُم هوى الجَشع واستَبَدّ بهم، تراهم يُبَدّدون معنى القول الكتابي: «مغبوطٌ هو العطاءُ اكثر من الأخذ» (اعمال ٣٥:٢٠). لا بل يفعلون الشيء نفسه مع كلمات الرب القائل: «اذا أردتَ أن تكون كاملاً، اذهَب وبِع كُلّ شيء لَكَ ووزّعه على المساكين فيكون لك كنزٌ

في السموات وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١). ويرى الروحانيون أنه مغبوطٌ جداً أن يُحكمَ المرءُ قبضته على ثروته، وأن يتصدَّق بجزء منها على المحتاجين والفقراء، من أن لا يمتلك شيئًا. ومع ذلك يجب على مثل هؤلاء أن يعلموا أنهم لم يرفضوا العالم بعد، ولم يبلغوا الكمال الرهبانيَّ ما داموا يستحونَ أن يقبلوا فَقر الرسل ـ حُبّاً بالمسيح ـ (أعمال ٢٠: ٣٤)، لأنّهم من هذا القبيل فقط يحيون النذور الرهبانية ويتمجّدون مع الرسل. وبعد أن يوزّعوا ثروتهم السابقة، عليهم أن يجاهدوا الجهاد الحَسن مع الرسول القائل: « في جوع ... وعطش وبرد وعري» (٢ كور ١١: ٢٧). ولو كان الرسول اقتنع أن اقتناء الثروة ضرورة قصوى من أجل الكمال، لما كان احتقَر مكانته الاجتماعية كمواطن روماني (أعمال ٢٢: ٢٥)، وما كان الذين في أورشليم باعوا بيوتهم وحقولهم ووزّعوا أموالهم التي جَنْوها، مودعينَ إيّاها بين أيدي الرسل (اعمال ٤: ٣٤–٣٥). وهل شعروا أن الرسول يعتبر الغبطة في أن يحيا الإنسانُ بعيداً عن مُقتنياته، من أن يعملَ ويمارسَ الإحسانَ كمن هو منَ الأمم ؟ الرسولُ يعطينا درساً واضحاً في هذه المسألة وذلك عندما يكتب إلى أهل رومية ويقول: «ولكن الآن أنا ذاهبٌ إلى أورشليم لأخدم القديسين. لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعًا للفقراء القديسين الذين في أورشليم» (رومية ١٥: ٢٥–٢٧). وهو نفسه كان في القيود، والسجن وفي السَفر والمشقّات، وكان محروماً من أن يُقدِّم لنفسه حاجاتها من عمل اليَد. ويخبرنا أيضاً انه قَبلَ ضروريات الحياة من الأخوة الذين أتوا إليه من مقدونيا (٢كور١١: ٩).

وعندما يكتب الى أهل فيليبي يقول: «وتعلمون يا أهل فيليبي أنه في بداءة الإنجيل لما خرجتُ من مكدونية لم تُشاركني كنيسةٌ واحدة في حساب العطاء والأخذ إلاّ أنتم وحدكم. فإنّكم في سالونيك أيضاً ارسلتم إلَيَّ مرة ومرتين لحاجتي» (في ٤: ١٥–١٦).

تُرَى هل يكون **الجَشع والطمّاع** على صواب؟ وهل هو أكثر غبطةً من الرسول نفسه؟ بالطبع ليس هناك مجنون يتشدّق بمثل هذا الكلام.

وإذا أردنا أن نتّبع وصايا الإنجيل، وحياة الكنيسة. بكلّ تفاصيلها بعد أن قامت، بقوّة الربّ، على كرازة الرسل، لا يجوز أن نَتْبَع أفكارنا أو أن نُعطيَ معانيَ خاطئةً للأمور التي قيلَت بحقٍّ وصواب. علينا أن ننبذ جُبن القلب والآراءَ الخالية من الإيمان كي نتعرّفَ على صلابة الإنجيل. على هذا النحو نتمكّن من السير على

## سلام المسيح الذي يفوق كل عقل

**المستقبل ليس لنا، ولعلّنا لا ندركُهُ، وإن أدركْناه ربَّما كان على غير ما توقّعناه ، فلنغمّض أعينَنا عما يحجبُهُ اللّهُ عنا، ونثابرْ على حفظ وصاياه، دون أن نعيشَ بقلق واضطراب واهتمام ، بل لنحيا بسلام ، سلامِ المسيحِ الذي يفوقُ كلّ عقلٍ.**

خُطَى الآباء القدّيسين ونتمسّكَ بحياة الشَركة الرهبانيّة **رافضينَ أمورَ العالمِ من كلِّ القَلب**.

ويليقُ بنا أيضاً أن نستحضرَ ههنا كلمات **القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية**. لقد خاطَبَ هذا القديسَ عضواً في مجلس شيوخ الولايَة كان قد ترك العالم، لكنَّ قَلبَهُ ما يزالُ فيه. فكانَ يحتفظُ ببعض ثروته دونَ أن يتخلّى عنها. قال له الأبُ القديسُ: أنتَ لم تَعُد شيخًا في المَجلس، وفي الوقت نفسه أخفقتَ في أن تُصبحَ راهبًا.

لذا علينا أن نبذُلَ كلَّ جهد كي نقطَعَ منْ كل قلوبنا جذورَ الشرور كلَّها، لأنه اذا بقيت الجذورُ، لا بدّ أن تُزهرَ لاحقًا فتكبر من جديد. بَيدَ أنّ استئصال الشرِّ أمرٌ شاقٌّ وصَعبٌ، إلا إذا كُنّا نعيش في الدير. لأنّنا عندما نكون في الدير، لا نعود ننشغل بأساسيات حياتنا اليوميّة. وإذ نَضَعُ المصيرَ الذي آل إليه حنانيا وسفيرة. في أذهاننا، ونُصب أعيُننا، يتوجّبُ علينا أنْ نُقلعَ عن أيّة فكرة تُحَرِّضُنا على الاحتفاظ ببعضَ ثروتنا بين أيدينا. وعلى نحو مُماثل ، عندما نتذكّر حادثة **جحيزي** الذي أُصيب ببرص لا شفاءَ منه، بسبب طَمَعه وَجَشَعه، علينا أن نحترسَ فلا نعمدَ إلى تكديس المال الذي لم يكنْ بَين أيدينا عندما كُنّا في العالم.

وفي النهاية عندما نتذكّرُ كيف مات **يهوذا الإسخريوطي**، علينا أن نتيقّظَ، فلا نَقتني شيئًا سَبَقَ أن تخلّينا عنه بمحض الإرادة عندما دخلنا الدير. وفوق كلّ هذا يجب أن نتذكّرَ ساعةَ موتنا، فالربُّ عندما يأتينا، ويجدُ ضميرَنا غارقًا في الطَمع. فإنّه يُسمعُنا ما قاله للغنيِّ في الإنجيل: «أيها الغبيُّ الليلةَ تُؤخذُ روحُكَ منكَ، وهذه التي اعددْتَها لمن تكون ؟» (لوقا ١٢: ٢٠).

**مكثرين في عمل الربّ كلَّ حين، لأنّ تعبكُمْ ليسَ باطلاً في الربّ.**

ليسَ قوام الكمال المسيحيِّ بعملَ عظام الأمور، بل بعملَ الأمور المعتادة بعَظيمِ الإرادة .

**أشكروا الربَّ في كلّ حينٍ**

الصالحُ هو: مَن يَشكرُ اللّهَ على كُلِّ بركاته حتى على أصغرِها

# الدرهم المفقود

للقديس غريغوريوس النيسي

الإنسان مخلوقٌ وَهَبَهُ اللّه العقلَ والذكاء، وخُلِقَ على مثال طبيعة اللّه النقية. إذ أنهُ كُتب عنهُ في قصة الخليقة: «فخلقَ اللّهُ الإنسانَ على صورته» (تك ١). هذا الإنسانُ المخلوقُ إذًا، لمْ يكنْ يملكُ في طبيعته أيَّ ميل نحو الألم والفناء في البداية. إذ أنَّ رسمَ الصورة لم يكُنْ من الممكن الإحتفاظُ به ، إذا كانَ قدْ **خالفَ بمحاكاته في أيٍّ منَ الأمور النموذجَ الأَصليَّ**. لكنَّ عناصرَ الألم قد دخلتَ في وقت لاحق بعدَ الخلق.

فالإنسان كان ـ كما قلنا ـ على صورة ومثال القدرة الإلهية التي تحكمُ كلَّ الخليقة، وهذه المشابهةُ للّهَ الحاكم كلَّ الأشياء، امتدت أيضًا إلى قدرة الإنسان على التصميم الذاتيّ، فالإنسانَ يستطيع اختيار أي شيء يريده، غير مستعبد لأيّ ضرورة خارجية. لكنّ الإنسان انحرف بواسطة الخداع، وجلب على نفسه بتعَمُّد تلك الكارثةَ التي شملت البشريةَ كلَّها.

الإنسان ذاته هو الذي اخترع الشر، لم يجدْهُ في اللّه، ولا اللّهُ خلق الموتَ، **بل الإنسانُ ذاتُهُ كانَ هوَ الخالقُ** ـ إذا جازَ التعبيرُ ـ **لكلِّ ما هو شرٌّ** .

كلُّ مَنْ له أعيُن يستطيعُ التمتعَ بنور الشمس، وأيُّ إنسان يمكنُهُ ـ إن أرادَ ـ أنْ يحرمَ نفسَهُ من هذه المتعة بإغلاق عينيه. في هذه الحالة، ليست الشمسُ هي التي تنسحبُ، أو تُنْتِجُ الظلامَ، بل الإنسانُ نفسُهُ هوَ الذي يضع عائقًا بينه وبين الشمس بإغلاق عينيه. ومع ذلك، حتى والأعين مغلقة لا يمكنها التوقف عن العمل، وبالتالي نشاط العين هو الذي يؤدي إلى ظهور الظلام في الإنسان، لأنه بتعَمُّد يحجز بصرَهُ. هذا الأمرُ يشبهُ رجلاً يبني بيتًا، ولا يعمل أي تدبير لدخول النور إليه. وبالتالي ـ كما هو واضح ـ يعيش في الظلام، بما أنه قد تعمَّد أن يعزل نفسَهُ بعيداً عن الضوء.

كذلك، الإنسان الأول الذي نشأ من الأرض ـ الذي تسبب في كلَّ الشرِّ الموجود في الإنسان ـ كان في قدرته اختيار كلِّ الخير والأمور الجميلة الموجودة في الطبيعة من حوله. إلا أنه أسس بنفسه بملء إرادته أمورًا ضدَّ الطبيعة، وفي رفضه للفضيلة باختياره الحرّ صاغ الغواية نحو الشر. إذ أنّ الخطية لا توجد في الطبيعة منفصلةً عن الإرادة الحرة، فهي ليست جوهرًا في ذاتها. إنَّ جميعَ مخلوقات اللّه حسَنَةٌ، لا شيءَ يُحتَقرُ مما خلقه، فكلُّ ما عمله اللّه كان «حسنٌ جدًا» (تك ١). ولكنّ تسلسلَ الخطية بأكمله دخل إلى حياة الإنسان لخرابه بالطريقة التي ذكرتُها، وانهمر على البشرية من مصدر صغير جدًا ، بَحْرٌ غيرُ متناه منَ الشرور. وجمالُ النفس الإلهيِّ الذي كانَ يعتبرُ محاكاةً للنموذج الأصليِّ صارَ مثل شفرة من صلب **تَعَتَّمَتْ بصدأ الخطية**، ولم تعدْ بعدُ تحتفظُ بجمال الصورة التي كانت تقتنيها قبلاً بالطبيعة، بل انقلب جمالُها إلى قباحة الخطية.

هكذا الإنسانَ الذي كانَ «عظيمًا جدًا وغاليًا» كما يدعوه الكتاب، سقط من المنزلة القيّمة التي كانت له بالطبيعة. كمثل هؤلاء الذين ينزلقون فيسقطون في الوحل، فتتلطخُ ملامحُ وجوههم بدرجة كبيرة حتى لا يستطيعُ أقاربُهُم التعرفَ عليهم. هكذا **سقَطَ الإنسانُ في وحل الخطية** ، وفقد تشابهَهُ مع اللّه الأبديَّ. وعوضًا عن ذلك، اتخذ لنفسه بخطيته لباسًا على صورة من الطين والفناء، هذه هي الصورةُ التي ننصَحُهُ بكلِّ جدية أنْ يزيلَها، ويغتسلَ في المياه المُطهرة التي للحياة المسيحية. ما أن يتمَّ إزالةُ هذا الغطاء الأرضيِّ حتى تتألقَ جمالُ النفس من جديد. فإزالةُ ما هوَ غريبٌ هوَ عودةٌ لما هو طبيعيٌّ ومناسبٌ، وهذا لا يمكّننا تحقيقُهُ إلا بتحولنا إلى ما كنا عليه قبلاً في البداية عندما خُلقنا.

إلاّ أن تحقيق هذه المشابهة للّه ليس في قوّتنا ولا في حدود قدرتنا البشرية. إنها عطية فضل اللّه، إذ أنه وهب هذا التشابه الإلهيَّ بشكل مباشر لطبيعتنا البشرية عند خلقتها. وبجهدنا البشريِّ ، نستطيعُ فقط إزالَة وسخِ الخَطيةِ المتراكم، وبالتالي نسمح فقط لجمال النفس المدفون لكي يتلألأ من جديد.

هذا الدرسُ نتعلمه من الإنجيل، عندَما تكلمَ ربُّنا عنْ أولئكَ الذينَ لديهم آذانٌ لسماعِ الأسرار التي تعلّمها الحكمةُ لنا، قائلاً: «ملكوت اللّه داخلكم» (لو ١٧). أعتقدُ أنَّ النصَّ هنا يشير إلى أن عطيةَ اللّه (الصورة الإلهية) لا تنفصلُ عن طبيعتنا وليستْ بعيدةً عن أولئكَ الذين يختارونَ البحثَ عنها. فهي تَسكنُ بداخل كلِّ واحد منّا، متجاهلةً ومنسيةً، مختنقةً بهموم الحياة وغناها ولذّاتها (لو٨)، ولكن عندما نُحوِّلُ عقولنا إليها نعيدُ إكتشافَها من جديد.

ولكن إذا كان يتعين علينا تأكيدُ هذا التعليم بطرق أخرى، يمكننا تعلمُ نفس الدرس من الربِّ في مَثَل الدرّهم المفقود (لو١٥) كل سائر المزايا ـ التي يدعوها النص دراهمَ ـ تعتبرُ عديمة القيمة إذا كانت الأرملةُ ـ أي النفسُ ـ تفقدُ واحدةً، حتى ولو كانت جميعُ المزايا الأخرى موجودةً.

لذلك فنحن أولَ الأمر نوصي بإضاءَة شمعة، تشير بلا شكّ إلى العقل الذي يُلقي الضوء على كل ما هو خَفيٌّ . بعد ذلك علينا أن نبحث عن الدرهم المفقود في **بيوتنا** أيْ في **نفوسنا**. والمعنى الخفيُّ للدرهم بلا شكٍّ هوَ صورةُ مَلِكنا، الصورة التي لم تُفقد بعد كليةً، لكنَّها مخبّأةٌ فقط تحت التراب. وبالتراب نستنتج قذارة الجسد، فعندما ننقي ونكنس هذه القذارة بواسطة الحياة المتقدة، ما كنا نبحث عنه سوف يصير جليًا.

وعندما تجدُ النفسُ الدرهمَ تبتهجُ بحقٍّ وتدعو جيرانَها لكي يشتركوا معها في فرحها. ورفقاءُ النفس هم بالطبع «مَلَكاتُ النفس المتنوعة»، التي يدعوها هنا النصُّ الجيران. إذ أنه عندما تُكتشفُ صورةُ الملك وتضيءُ بلمعانها مرةً أخرى، تنطبعُ الصورةُ على قلوب كلِّ واحد كما انطبعت على درهمنا في البداية بواسطة الخالق ، آنذاك تتحدُ كلُّ مَلَكَات النفس معًا في هذا السرور والفرح الإلهيِّ، عند التحديق في الجمَال الفائق الوصفْ الذي تمَّ العثورُ عليه. إذ أنها تقولُ: «افرحْنَ معي لأني وجدتُ الدرهمَ الذي أضعْتُهُ» (لو١٥). الجيرانُ أي ملكاتُ النفس الطبيعية التي تبتهج عندَ اكتشاف الدرهم الألهيِّ هي التعقلُ، الشَهيةُ، الميلُ نحوَ الحزن والغضب ... وكلُّ الملكات الأخرى التي نعتقدُ بوجودها في النفس. وبحقٍّ تدعى أصدقاء، وبحق تبتهجُ آنذاك في الرب، إذ أنّ جميعَها تتحوّل لتتطلّع الآن نحو الجمال والصلاح، فيعملنَ كلّ شيءٍ لمجد اللّه، ولا يعودوا بعدُ آلات للخطية.

هذا هوَ إذًا الدرسُ الذي نتعلمُهُ من الدرهم المفقود: علينا أن نُعيدَ صورةَ اللّه ـ **المخبأةَ الآنَ تحتَ وسخِ الخَطية** ـ إلى حالتها الأصلية. وبالتالي نصيرُ على ما كانَ عليه الإنسانُ الأول عندَ فجرِ الوجودِ البشريِّ .

# العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧٥)

## هوشع آخر ملوك إسرائيل (٧٣١-٧٢٣ ق.م.) (٢مل ١٧: ١-٦):

بعد أن **اغتال هوشع** فقح **أقام نفسه مَلِكًا على إسرائيل** ولم يجدْ مفرًا أن يكونَ تابعًا لأشور ومدينًا بعرشه لملك أشور، لكنه أضمر في نفسه أنْ يخلع النيرَ الأشوريّ ، وفي سنة ٧٢٧ق.م. مات **تغلث فلاسر**، فَمَلَكَ ابنه **شلمناصر الخامس** عرش أشور (٧٢٧ - ٧٢٣ ق.م.) وتظاهر هوشع بالولاء للملك الجديد واتجه يطلب المساعدة من مصر ، وكان **سوا فرعون مصر (ساباكا الأسرة ٢٤)** كان ملكًا ضعيفًا ، وحينما أخذ **هوشع** وعدًا بالمساعدة رَفَع لواء العصيان وامتنع عن دفع الجزية لأشور، فثار ملك أشور وزَحَفَ سنة ٧٢٣ ق.م. بجيش قويٍّ ومعداته المتطورة لاقتحام الأسوار، وهاجم إسرائيل وحاصَرَ السامرة ثلاث سنوات هي من أطوَل أنواع الحصار في التاريخ القديم.

## سقوط السامرة (٧٢٢-٧٢١ ق.م.):

في أثناء الحصار مات **شلمناصر الخامس** وخلَفه **سرجون الثاني** (٧٢٢-٧٠٥ ق.م.) ولم يؤثّر ذلك على الأحداث ولم يتغيّر الموقف واستمرّ الحصار حتى سقطت السامرة في أيدي أشور واستولوا عليها سنة ٧٢١ ق.م. ودمّروها، وانتهى الأمر بالقبض على هوشع وأودِع السجن، وانتهت مملكة إسرائيل إلى مصيرها المحتوم بعد قرنين من الزمان بسبب عبادتها الوثنية ورجاساتها، وَتَجاهُل صرَخات الأنبياء (٢ مل١٧) وسَبَى الذين تَبَقّوا منَ السَبيّ الأول وَسيقوا كعَبيد إلى خابور ومادي شرق سوريا وفي تركيا وإيران، ونَقَلت أشور أسرى الحرب من الشعوب الأخرى من بابل وأرام واسكنتهم في السامرة (٢مل١٧: ٢٤).

ثمّ تولّى بعد ذلك **سنحاريب خليفة سرجون** (٧٠٥-٧٨٠ ق.م.) توطين شعوب أخرى في السامرة ثم سار على نفس النهج خليفتُهُ **أسرحدون** (٦٨٠-٦٦٨ق.م.) **وأشور بانيبال** آخر ملوك أشور الأقوياء (٦٦٨-٦٢٧ق.م.) وبذلك صار سكان السامرة منذُ ذلك الوقت مزيجًا من شعوب مختلفة في عقائدها، فاختلطَت الديانات وخَرج منهم نسلُ السامريينَ نتيجةَ اندماج تلك الشعوبَ الجديدة مع مَن بَقيَ من شعب إسرائيل وأصبحوا هم السامريين كما نعرفهم في العهد الجديد.

**اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيئتي طهّرني**

**الماءُ يغسل ما بالجسم من دنسٍ**

**وليسَ يغسلُ قلبَ المذنبِ الماءُ**

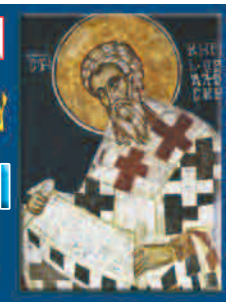

## ١١ ـ فالآب وحده يعرف ميلاد ابنه

فالآب إذن ولَدَه ليس بطريقة يستطيع الإنسان إدراكُها، بل هو وحدَه يعرفُها. في الواقع أنهُ لمْ يُكشَفْ لنا عن كيفية ولادته ؛ ولكننا نؤكّدُ فقطْ أنه لم يلدْهُ كما نتصوّر. ولسنا نحن وحدَنا نجهَلُ ولادةَ الإبن منَ الآب، بل الخليقة كلّها. اسـأل الأرض إن كـانت تستطيع أن تخبـرَكَ (أيوب ٨:١٢)، وأنتَ لو استعلَمْتَ لدى كل كائنات الأرض، لَما عرفتْ أن تقول لكَ شيئاً. لأن الأرض لا تستطيع أن تفيدك، ولا حتى عن مادة ترابها ولا عن شكلها الخاص. وليست الأرض هي وحدها التي لا تعرف، ولكن الشمس كذلك. لقد خُلقَت الشمسُ في اليوم الرابع، وهيَ لا تعرفُ ما صُنعَ في الأيام الثلاثةَ الأولى. فالذي لا يعرفُ ما حدثَ في الأيام الثلاثة التي سَبَقَتْهُ هوَ لا يستطيعُ أن يلقّنَكَ شيئًا عن خالقه، لأنهُ بإشارة منَ الآب أضمحلّتْ السمـاواتُ كالدخان بالمسيح (أشَعيا ٦:٥١).

فلا سماءُ السماوات ولا المياهُ التي تحتَ السماء تستطيع أن تحدِّثَكَ عنه (مز١٤٨:٤). فلماذا إذن تتضايقُ، أيها الإنسانُ، من عَدم معرفة ما تجهلُهُ السماواتُ نفسُها؟ ليست السماواتُ فقط تجهلُ طبيعةَ هذه الولادة، بل كلّ طبيعة ملائكيّة. فلو صعدَ أحدٌ الى السماء الأولى (ان كان ذلك ممكنًا) ، ورأى الرُتَبَ الملائكيّة فتقدَّم وسألهم: «كيف وَلَدَ اللّهُ ابنَهُ ؟» ، لربما أجابوه: «إنَّ فوقَنا مَن هُمْ أعظمُ منا، فاسألْهُمْ». إذهب إلى السماء الثانية والثالثة ، تقدّم، إن استطعت، إلى **العروش والسلاطين، والسيادات والرئاسات والقوات** (كولسي ١٦:١)، فإنه حتى إنْ وصل أحدٌ إليهم ـ وهذا مستحيل ـ فإنّهم يمتنعون عن الإجابة لعدم معرفتهم.

## ١٢ ـ جسارةُ من يزعمونَ معرفةَ أعماق اللّه

ومن جهتي، فإني أستغرب دائمًا من جرأة الفضوليينَ الذين، بحجّة التقوَى، يسقطون في الكُفر ! إنهم يجهلون العروشَ والسلاطينَ والرئاسات والقوّات التي هيَ من صُنع المسيح، ويحاولونَ مع ذلك أن يبحثوا بكلّ فضولية عن خالقهم ذاته. قُلْ لي أولاً، أنتَ أيُّها الجريءُ، ما هو الفرقُ بين العروش والسلاطين؟ ثمّ ابحثْ بعد ذلك عما يخصُّ المسيحَ. قل لي ما هي الرئاساتُ والقوّاتُ والسلاطينُ والملائكةُ، وبعد ذلك ابحث في الخالق، لأنّ «به كان كلُّ شيء» (يو١:٢). ألا تُريدُ أن تسألَ العروشَ والسلاطينَ ؟ وهل لك ذلك؟ فمَنْ ذا الذي يعرف أعماقَ اللّه، غيرَ الروح القدس (١كور ٢ : ١١) الذي تكلّم في الكتب المقدسة؟ ولكن أليس الروحُ القدسُ الذي تحدثَ عن ميلاد ابن الآب في الكتب المقدسة؟ لماذا تبحث عما لم يتحدّث عنه الروحَ القدس في الكتاب؟ أنتَ لا تعرف ما هو مكتوبٌ، وتبحثُ عما هو ليس مكتوبًا؟ هناك أمورٌ كثيرة يجب البحثُ عنها في الكتب المقدسة. إننا لا نفهمُ ما هو مكتوب، فلماذا نُشغل أنفسَنا بما لم يُكتَبْ ؟ يكفينا أن نعرفَ أنّ اللّهَ وُلدَ ابنًا وحيدًا.

## ١٣ ـ آب واحدٌ، ابنٌ واحدٌ، يعرفُهُما الروحُ الواحدُ

لا تخجلْ من الإعتراف بجهلكَ ، بما أنك تشاركُ الملائكةَ بهذا الجهل . فالوالدُ وحدَهُ يعرفُ المولودَ منْهُ ، والمولودُ يعرفُ والدَهُ. والذيَ وَلَد يعرف ما ولده. وروحُ اللّهَ القدوسُ يشهدُ في الكتب المقدّسة بأنَّ الذي وُلد منذُ الأزل هو اللّهُ. «فمن ذا الذي يعرفُ أسرارَ الإنسان غير الروح الذي في الإنسان؟ وكذلك ما من أحد يعرفُ أسرارَ اللّه غير روح اللّه» (١ كور ١١:٢) ؛ «وكما أن الآب لهُ الحياةُ في ذاته. كذلك أعطى الإبنَ أنْ تكون له الحياةُ في ذاته» (يو٢٦:٥) ؛ و «ليكرم الإبنَ جميعُ الناس كما يكرّمون الآب» (يو ٢٣: ٥) ؛ و «كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، فكذلك الإبن يُحيي مَن يشاء» (يو٢١:٥). فالوالدُ لم يحدثْ له نقصانٌ، والمولود لا ينقصُهُ شيءٌ. (إنّي أعلمُ أنّي قلتُ لكم ذلكَ مرارًا، إنما أكرّرُ ذلكَ مرارًا لمنفعتكُمْ). فلا الوالدُ له أبٌ ، ولا المولودُ له أخٌ. لا الآب تحوّلَ إلى الإبن، ولا الإبنُ أصبح أبًا. إبنٌ وحيدٌ أوحدُ من أب وحيد أوحَدَ ؛ لا والدان ولا ابنان، بلْ أبٌ غيرُ مولود («غير مولود» هو الذي لا أب له) وابنٌ وحيدٌ مولودٌ من الآب منذُ الأزل؛ مولودٌ لا في الزمان بل قبلَ جميع الأزمان. لم ينمُ تدريجيًّا، بل وُلدَ في الحالة التي هو عليها الآن.

## ١٤ ـ مولدُ الإبن يتجاوزُ الزمن

إننا نؤمن إذن «بابن اللّه، الوحيد المولود من الآب الإله الحقّ» ، لأنّ الإلهَ الحقّ لا يلدُ باطلاً، كما قُلنا. وهو لم يفكّر ثمَّ وَلَدَ، بل وَلَدَ منذُ الأزل. وذلك بأسرع (مما نلد نحن) أفكارنا وكلماتنا. لأننا نحنُ، إذ نتكلّمُ في الزمن، نخضعُ للزمن. ولكن عندما يتعلّق الأمر بالقدرة الإلهيّة، فالميلاد يتمّ خارج الزمن. وكما قلنا مرّات عديدة: إنَّ الإبنَ لمْ يأت من العدم إلى الوجود، كما أنه لم يأت من عدم (البنوة) إلى التَبَني الإلهي. ولكن كما أنّ الآبَ أزليٌّ، فقد ولَدَ منذُ الأزل، وبكيفية لا توصَفُ، إبنًا وحيدًا ليس له إخوة. وكذلك ليس له مبدآن، ولكنّ رأس الإبن هو الآب، المبدأ الوحيد (١ كور١١:٣). لأن الآب ولد ابنه، وهو إله حقٌّ، يُدعَى عمانوئيل (أشعيا ١٤:٧) الذي تفسيره : اللّه معنا (متى٢٣:١).

**«الفضائل تستحيل في النفوس الرذيلة إلى رذائل كما يستحيل الغذاء الصالح في البدن الفاسد إلى فساد»**

# أكبر قطعة من الصليب المقدّس
# الذي صُلِبَ عليه ربّنا يسوع المسيح
# موجودة في دير كسيروپوتامو في جبل آثوس

## رؤيا عجائبيّة للصليب المقدس

جاء، ذاتَ يوم، راهبٌ فقيرٌ اسمه جنّاديوس إلى دير ديونيسيّو في الجبل المقدّس آثوس للحصول على صدقة اعتادَ رئيسُ الدير أن يمنحَها لهُ بين حين وآخر.

أعطاهُ رئيسُ الدير ما يريدُ، وفيما هوَ يهمُّ بالانصراف سألَهُ الرئيسُ:

– هل حقًّا ما سمعتُهُ أيُّها الأخُ جنّاديوس ؟

– وماذا سمعتَ يا أبانا؟

– لقدْ قيلَ لي إنَّكَ رأيتَ رؤيا عجيبةً تتعلّقُ بالصليبِ المقدّسِ الذي لربِّنا وإلهنا يسوعَ المسيح.

– ( بتواضعٍ واستحياءٍ كبيرين): نَعَمْ، يا أبانا.

– هل تخبرُني إيّاها.

– باركْني، يا أبي.

– بركةُ الربِّ تكونُ مَعَكَ.

– ذهبت في ١٤ أيلول من العام ١٩٦٧ إلى دير كسيروپوتامو لأنّهُ يملكُ أكبرَ قطعة من الصليبِ المحيي، ويوجدُ في آخرها المسمارُ الذي سُمِّرَ به الربُّ يسوعُ على الصليب، وكانَ هناكَ جمعٌ كبيرٌ منَ المؤمنينَ أتَوا ليسجدُوا ويتبرّكُوا منْ هذه القطعة المقدّسة. وفي نهاية خدمة السَّحَر، وحينما حانَ الوقتُ للتبرّكَ، رأيتُ ألهبَةَ نار تَخرجُ منَ الخشبة المقدّسة وتحيطُ بالكنيسة كلِّها، فأصبحَتْ الكنيسةُ وكأنَّها تحترقُ. خفْتُ خوفًا شديدًا، وقلْتُ في نفسي: كيفَ سيتمكّنُ الناسُ منَ السجود، بلْ كيفَ سيقتربونَ ؟ يجبُ أنْ أُخبرَ الرئيسَ. ولكنّي، في الوقت نفسه، شاهدتُ الناسَ يقتربونَ ولمْ يحترقْ أحدٌ منْهُمْ، بلْ كانوا مبتهجينَ ووجوهُهُمْ تلمعُ فرحًا، والكلُّ يقبّلونَ العودَ المحييَ دونَ أنْ يحترقَ شيءٌ منهُمْ. فتساءلْتُ: كيفَ سأجرؤُ أنا على التقدّم، وبدا لي هذا مستحيلاً تمامًا.

فرحتُ أتضرّعُ إلى الفائقة القداسة لتؤهّلني للسجود.

أمسكْتُ بصليب صغير كنتُ أحتفظُ به في يدي، ورحتُ أنطقُ بالصلاة وأنا أتقدّمُ متمهّلاً. ويا للعجبْ، ما إنْ وصلْتُ حتّى رأيتُ اللهبَ قد انطفأَ من ذاته، فتقدّمتُ، حينئذ، بشجاعة وخشوعٍ كبيرينْ ودموعي تنهمرُ منْ عينيَّ وقبّلْتُ الصليبَ الكريم.

جدير بنا أن نذكرَ بأنّ هذا الراهبَ الفاضلَ رقدَ يومَ عيدِ الصليبِ منَ العامِ نفسه.

الصليب المقدّس الحقيقي ، وبجانبه ذخائر من الشهداء الأربعين، وذخيرة من القديس موذيستوس رئيس أساقفة أورشليم

دير كسيروپوتامو العامر للروم الأرثوذكس في جبل آثوس

أحد الأساقفة يومىء باصبعة نحو الصليب المقدّس